الا تجاه الإسلامي في كتابات شكيب أرسلان مع التركيز الخاص على كتابه "لما ذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم" دراسة تحليلية

بحث جامعي

لنيل الشهادة ما قبل الدكتوراه

الباحث

محمد شاهد

تحت إشراف

الدكتور رضوان الرحمن

مركزالدراسات العربية والإفريقية

مدرسة دراسات اللغة والأدب و الثقافة

جامعة جواهرلال نهرو، نيودهلي، الهند – 110067

2015

مركز الدراسات العربية والإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi - 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax : 91-11-2671 7525

Declaration

I declare that the material in this dissertation entitled "***Islamic Trend in the writings of Shakib Arsalan , with special focus on his book - Limaza Ta akhkhara almuslimoona wa limaza Taqaddama gairuhum- (Analytical Study)"*** submitted by me is an original research work and has not been previously submitted for any other degree of this or any other University/Institution.

Mohd Shahid

Mohd Shahid

(Research Scholar)

SUPEVISOR

Dr. Rizwanur Rahman

CAAS/SLL&CS/JNU

Centre of Arabic & African Studies
SLL & CS
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

CHAIRPRSON

Prof. Mujeebu Rahman

CAAS/SLL&CS/JNU

Chairperson
Centre of Arabic & African Studies
School of Languages
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067.

المقدمة

لاشك أن العالم العربي كان له دوربارز في كل مجال من مجالات الحياة منذ أن طلعت شمس الإسلام والإيمان، فالمسلمون تطوروا وتقدموا في كل علم وفن، نشأ فيهم مفسرون ومحدثون وفقهاء و مؤرخون كبار وعلماء الكيمياء والفيزياء والفلسفة وعلم الكلام، وبلغوا في هذه المجالات كل المبلغ .

والعالم العربي قد أنجب رجالا في مجالات علمية وثقافية مختلفة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، وانتشرت أسماءهم في جميع أنحاء العالم بسبب أفكارهم الإسلامية، والمجهودات التي بذلوها في سبيل نشرها وترويجها. ولهم كتب قيمة حول الموضوعات الإسلامية، وهي تعالج الشؤون والقضايا البارزة الخاصة بالإسلام والمسلمين، ولهم خدمات عظيمة في إصلاح عقائد وأخلاق المسلمين ومحو الأوهام والخرافات التي تسربت في مجتمعهم وجاهدوا بلسانهم وقلمهم ضد مؤامرات الاستعمار الأوروبي التي برزت خلال نفس الفترة.

كان شكيب أرسلان في طليعة هؤلاء الأعلام الذي يعرف بلقبه أمير البيان وكاتب العروبة و الإسلام. وهو كان علما من أعلام العرب وعبقريا من عباقرة المسلمين.

أنفق حياته الطويلة على خير ما تنفق الأعمار، فهو قارئ وكاتب وكافح في سبيل عروبته وعقيدته حتى خلف من ورائه تراثا ضخما تعجز عن الإتيان به عصبة من بني الإنسان. ولما بدأ الكتابة والتأليف لم ينقطع رابطته منهما طول حياته، وظل يواكب الزمان وبوجه العالمين الأوروبي والإسلامي، ونظر إلى العالم كله بعين ساهرة وقلب واع حتى أصبح صدره شديد الامتلاء بالمعلومات الإسلامية.

نشأ في الوقت الذي كان الاستعمارالأوروبي يعربد ويعيث في العالم الإسلامي الفساد ويخلق المشاكل للمسلمين وشقاءهم. ولما نضجت أفكاره، وثارت حميته الإسلامية، فانتفض ضد الاستعمار وكشف الغبار عن مؤامراته واعتداءاته ونواياه الفاسدة في تدمير البلاد العربية، وظل يلعب دورالحارس لقضايا الإسلام، ولم يدخر جهده في دفاع أمور المسلمين خاصة العرب مهما وصلوه واحتاجوا إلى مساعدته ، قام بروح المسلم الغيور الذي أتاه الله يقظة في الجنان وبراعة في البيان.

بسبب فكرته الإسلامية أصبح موضوع ثقة المسلمين ومحل احترامهم وإكبارهم. ونال مرتبة مثلما نالت الشخصيات الفذة أمثال السيد جمال الدين الأفغاني المعروف بثائر الإسلام وموقظ الشرق، والإمام المجتهد ومفسر القرآن الكريم الشيخ محمد عبده، المصلح الكبير السيد رشيد رضا فتأثر هؤلاء الرجال كلهم بأفكار شكيب ومواقفه كما تأثر شكيب بهم أيضا بعد أن لقيهم واستمع إليهم .

شكيب أرسلان كان كاتبا بارعا ولقد طرق في كتاباته كثيرا من الفنون والأغراض، فكتب في السياسة والأدب والتاريخ والفلسفة والاجتماع والنقد والترجمة والشرح والتعليق والتحقيق.

وهو كان سريع الكتابة وحاضر البديه ويميل في كتاباته إلى السهولة في التعبير وأحيانا كان يميل إلى التكرار والإسهاب وهو أيضا كان يستعمل في كتاباته الجمل القرآنية، لأن شكيب أرسلان لا يعد الأديب أديبا إذا لم يحفظ كثيرا من كتاب الله ومن أحاديث رسول الله ﷺ.

نظرا إلى أهمية كتابات شكيب أرسلان في الأوضاع الراهنة اخترت موضوع مقالتي للبحث الجامعي لما قبل الدكتوراه وجعلت عنوان بحثي " الاتجاه

الإسلامي في كتابات شكيب أرسلان مع التركيز الخاص على كتابه لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم ".

يشتمل هذا البحث على ثلاثة أبواب و خاتمة البحث في النهاية، فألقيت الضوء في الباب الأول على حياة شكيب ونشأته التعليمية الأدبية و أخلاقه النبيلة و صفاته الفاضلة و أقوال الأعلام في شأنه.

وتحدثت في الباب الثاني عن أسلوب شكيب أرسلان في كتاباته و الاتجاه الإسلامي فيها.

أما الباب الثالث فبحثت فيه عن الاتجاه الإسلامي في كتابه " لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم " .

وحاولت بما في وسعي من المجهودات البالغة للقيام بالبحث وبذلت قصارى جهدي لتحسين هذا الرسالة لما قبل الدكتوراه.

كان العالم العربي يواجه في الثلث الأخير للقرن التاسع عشر والنصف الأول للقرن العشرين مؤامرات الاستعمار الأوروبي التي أدت إلى احتلال إيطاليا على طرابلس وفرنسا على سوريا ولبنان والمغرب والعربي وبريطانيا على مصر والدول العربية الإسلامية الأخرى ، كما أدت إلى مأساة فلسطين.

بسبب الاحتلال الأوروبي على البلاد العربية تغيرت شؤونها الاجتماعية والدينية أهمل المسلمون العلوم الشريعة والدينية والبحث في أقوال وأعمال السلف والصالحين فشاع بينهم الجهل والأعمال الخرافية وانتشرت الأوهام وفسدت العقائد والأخلاق.

بالجملة ، فقد كان العالم العربي الإسلامي – إذ ذاك – شيخا هرما حطمته الحوادث ونهكه ما أصابه من كوارث فساد نظام واستبداد حكام وفوضى أحكام وخمود عام واستسلام للقضاء والقدر.

فقد الدين روحه وصار شعائر ظاهرية لا تمس القلوب ولا تحي الروح وسادت الخرافات وانتشرت الأوهام وأصبح التصوف ألعابا بهلوانية والدين مظاهر شكلية و وسيلة في النجاح وفي الحياة، ليس الجدل في العمل ولكن التسمح بالقبور والتوسل بالأولياء.

فاحتاج العالم العربي الإسلامي إلى التغير الاجتماعي والسياسي والديني وإلى النظام الذي ينشر العدالة الإنسانية ويمسك الظلم والعدوان.

برز بنتيجة هذه التطورات خلال نفس الفترة رجال كبار كانت قلوبهم تتوقد بالحماسة الدينية والروح القومية . وكان معظم الرجال متمسكين بالدين الإسلامي كما كانوا متمسكين بالقومية العربية . وكان الأمير شكيب أرسلان واحدا منهم. كان الأمير يعرف لذكائه وفهمه للأمور الساسية كما كان يعرف للحماسته الدينية وكان مجاهدا رحالا، كتب عديدا من المؤلفات حول الشؤون الإسلامية والأوضاع السياسة خلال عهد.

و الآن من الواجب أن أقدم جزيل الشكر إلى أستاذي الكريم الدكتور رضوان الرحمان الذي تحت إشرافه قد تم هذا البحث الجامعي بتوفيق الله جل و علا. إنه لم يأل جهدا في مساعدتي لإعداد هذه الأطروحة و استفدت من توجيهاته القيمة في تحسين هذا البحث ، فأطال الله عمره أبقاه طويلا.

محمد شاهد

260 ، كاويري

جامعة جواهر لال نهرو

نيو دلهي — 110067

21/07/2015

الباب الأول: نبذة عن حياة شكيب أرسلان

الفصل الأول : شكيب أرسلان مولده ودراسته و رحلاته العلمية

الفصل الثاني: شكيب أرسلان أخلاقه و صفاته

الفصل الأول :

شكيب أرسلان مولده ودراسته و رحلاته العلمية

ولد الأمير شكيب أرسلان ، يوم الإثنين أول ليلة من رمضان سنة 1286 هـ الموافق الخامس والعشرين من دسمبر/ كانون الأول سنة 1869 م في الشويفات (بلدة في لبنان تقع بين مدينتي بيروت و صيدا) التي كانت مركز العائلة الأرسلانية و التي بناها الأمير مسعود الأرسلاني منذ أكثر من ألف سنة وأبوه حمود بن حسن الذي يرقى نسبه إلى الأمير الأرسلاني المتوفى سنة 171 هـ ،

و كان اسم أمها سيدة شركسية فاضلة، عمرت طويلا، وكان أبوه يحبها ويجلها ويحن إليها بقوة وهو بعيد عنها و يبذل أقصى جهده لرؤيتها. وكان أبوه الأمير حمود أرسلان رجلا ذكيا، كريما شجاعا، و كان يجيد اللغة العربية ويعرف التركية وله مساهمة في الشعر والأدب.

تعلم مبادئ القراءة و الكتابة مع أخيه نسيب على يد معلم القرية . كما كانت عليه عادة السراة في ذلك الوقت، ثم انتقل إلى التعلم على يد أستاذ آخر فحفظ جانبا من القرآن الكريم. وبعد ذلك دخل مع أخيه مدرسة الأمريكان في الشويفات. فنال قسطا من العلوم واللغة الإنكليزية ، ولما بلغ العاشرة من عمره عام 1879، دخل مدرسة الحكمة في بيروت وتلقى فيها دروس اللغة العربية على الشيخ عبدالله البستاني حيث تعلم اللغتين الفرنسية والتركية ، وتبلورت تباشير شاعريته وهو في الرابعة عشرة من عمره ، وكان في سن دراسته متفوقا مع أخيه على أقرانهما .

قام برحلاته البدائية من أجل الاكتساب في سنة 1889، حينما ذهب إلى مصر ، و شرع يجالس المشاهير ، و يتعرف عليهم و يتعرفون عليه أذكرهم هنا على سبيل المثال : الشيخ محمد عبده ، و سعد زغلول ، والشيخ علي الليثي ، والشيخ علي يوسف ، (صاحب المؤيد) و حفني ناصيف والسيد أحمد محمود و

أحمد ذكي باشا ، و طفق رحمه الله و هو في سن الشباب ينشئ علاقات شخصية وأدبية مع أعلام عصره أمثال الشاعر إسماعيل باشا صبري ، والشيخ علي يوسف ، و أمير الشعراء أحمد شوقي ، والبارودي ، و عبدالله باشا فكري ، فسامر بعضهم و راسل البعض الآخر ، وامتدح أو كاتب البعض الثالث .

"سافر شكيب إلى مصر سنة 1890. وعمره إحدى وعشرون سنة فمكث سبعة أشهر في الإسكندرية ثم جاء إلى القاهرة ولازم الشيخ محد عبده ومكث بقربه شهرين كاملين وتعرف على أرقى الشخصيات في مصر بل في العالم العربي كله مثل سعد زغلول تلميذ الشيخ محمد عبده السياسي المصري الكبير، والشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤود وأحمد زكي باشا الذي يعرف كشيخ العروبة في تحقيقاته وكتاباته الأدبية والتاريخية.

وجال في خاطر شكيب أن يتصل بالشيخ جمال الدين الأفغاني (1839-1897). فسافر إلى باريس في سنة 1892 وعاد منها إلى آستانه واجتمع بجمال الدين الأفغاني الذي يعتبر كـ"ثائر الإسلام موقظ الشرق" فأعجب به الشيخ جمال الدين كما أعجب به الشيخ محمد عبده".[1]

كان شكيب أرسلان كاتبا بارعا. وكان يكتب على موضوعات شتى يعالج فيها قضايا إسلامية قومية وسياسية، هو أيضا كان مؤرخا كبيرا كتب عديدا من الكتب حول تاريخ الإسلام والمسلمين. بدأ شكيب حياته المهنية كصحفي قبل أن يصبح كاتبا كبيرا في التاريخ و الأدب. وكان يكتب مقالات ممتازة في صحف عربية متعددة في ذلك العصر لما فيها/ الفتح/ والجهاد/ والشورى/ والمؤيد/ والأهرام، يقول أحمد الشرباصي:

[1]- يوسف كوكن ، أعلام النثر و الشعر في العصر العربي الحديث ص: 370 (الجزء الأول)

"فنشر شكيب أول مقالة في إحدى الصحف اللبنانية وهو في السادسة عشرة من عمره. فيكون قد اتصل بالصحافة وهو في مطلع شبابه ، وفي سنة 1890م نجد لشكيب في جريدة " الأهرام" مقالات ممهورة باسمه الصريح تارات بتوقيته الرمزي تارات أخرى وإذا لم تصرح الأهرام باسمه جعلت تحت عنوان المقال عبارة:

"لأحد الفاضل السياسين" "والأهرام" حينئذ هي كبرى صحف مصر بل هي كبرى صحف العالم العربي."[2]

"لم يقتصر شكيب على الصحف اللبنانية والمصرية بل امتدت كتاباته الصحفية إلى صحف سورية "والمهجر" وإلى الصحف الفرنسية وغيرها ويدفع إليها بمقالته العربية والإسلامية والتاريخية والساسية والقومية فهو كان يعد أحد كبار الصحفيين المعمرين"[3]

شكيب كان سريع الكتابة وحاضر البديهة لا يحتاج إلى تمهل حين يكتب مقالته ولا يحتاج إلى مراجعة وهو كان يناقش في مقالاته المسائل السياسية والقومية والدين والأدب والنقد والاجتماع. وكان يستخدم خلال كتابته أساليب سهلة واضحة يوضح أحمد الشرباصي في هذا الصدد:

" وشكيب في مقالاته يميل إلى السهولة في التعبير حتى يصل في بعض الأحيان إلى درجة "العامية" هذا يناسب الأسلوب الصحفي الناجح لأن الكاتب الصحفي يخاطب جمهور القراء وهم من سواد الشعب ، وليسو بمتخصصين أو

[2]- أحمد الشرباصي ، شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، ص: 301

[3]- المرجع السابق، ص: 302

متفاصحين يحتاجون إلى تجويد العبارة وجزالة الأسلوب، يخيل إلى أن هذا الأسلوب الصحفي عند شكيب كان يؤثر في تاليفه"[4]

كانت الصحف التي يكتب فيها شكيب أرسلان منبرا من منابر الأحرار تهدد الاستعمار وتفضح التبشير، وتشير قضايا الحق والعدالة وتشع نورا هاديا للخير والمساواة.

إن شكيب أرسلان جاهد بقلمه وفكره و كل ما في وسعها ضد قوة الإستعمار الأوروبي ودافع عن العرب والمسلمين وافتخر بحضارتهم الإسلامية العربية.

و العصر الذي عاش فيه شكيب أرسلان يعتبر من أشد العصور قسوة على الإسلام والمسلمين في التاريخ الحديث ، إذ ظهر الاستعمار الأوروبي كقوة رهيبة في العالم، ومزاق فمزق الدول الإسلامية واحتل على أراضيها واستغل مصادرها ، وكان من أهداف الاستعمار الأوروبي أن تظل الدول الإسلامية تابعة له ولا تستطيع أن تبعث أخرى.

فبرز شكيب أرسلان أثناء هذا العصر كمجاهد عربي وإسلامي، وقاوم ضد الاستعمار الأوروبي وأصبح خطرا و تهديدا له، كما واجه أعمالا تعسفية من جانب حكام الاستعمار ولكنه لم يخلع عن مهمته العظيمة لا يزال يجاهد ضدهم بقلمه ولسانه وفكره. هو أيضا كان حارسا لقضايا الإسلام والعروبة ودافع عنها طوال حياته.

كان شكيب أرسلان مواليا لحكم الأتراك وكان يؤيد الخلافة العثمانية ويدافع عنها ولكن بعض شبان العرب وأعضاء المنتدى في الآستانة لا يحبون موقف شكيب هذا، لأنهم يعتبرون الأتراك أعداء لهم، يوضح اوري الجندي:

---

[4]- الشرباصي ، شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام ص: 303

"شكيب كان عثمانيا يدعوا إلى الجامعة الإسلامية كرابطة سياسية واجتماعية وبين مختلف الشعوب التي تنضوي تحت لواء العثمانين وهذه إحدى الصفات التي جلبت له الكثير من الأعداء والعديد من الخصومات لأن أصدقاءه الكثيرين بل إخوته كانوا يختلفون معه في هذا الاتجاه في وقت كان أعظم رجال العرب يضيقون ذرعا بأعمال الأتراك ويطالبون بالاستقلال العري ثم بتكوين خلافة عربية."[5]

ولكن شكيب كان مخلصا في سياسته الإسلامية والعربية هو لا يدافع عن الدولة العثمانية إلا دفاعا عن العروبة والإسلام لانه كان يرى في الخلافة العثمانية عزا للإسلام وقوة للعرب. ولعب دورا هاما لاستقلال البلاد العربية كان لا يتحمل سيطرة الاستعمار الأوروبي على أراضيها.

في سنة 1911م لما اعتدت إيطاليا على طرابلس الغرب (ليبيا) غضب شكيب من هذا العدوان الطلياني، و كتب إلى جميع أنحاء العالم العربي وحرض المسلمين لمساعدة العرب الطرابلسيين، وحثهم أن يرسلوا إليهم الأموال والسلاح، ورحل إلى مختلف البلاد العربية لكي يحصل منها معونة مالية و مساعدة عسكرية كما يقول رجب بيومي:

"حلت كارثة العدوان الطلياني على طرابلس فكان شكيب في طليعة من دعا إلى صد هذا العدوان فقد اتصل بناظر الحربية في الآستانة وفتح باب التطوع للجهاد في شتى ديار الإسلام ثم سافر متخفيا إلى طرابلس ليشترك مع القائد العثماني في الدفاع وأخذ يرسل الخطابات المتوالية إلى أصدقائه المسلمين يدعوهم إلى مساعدة القطر البائس وانتشاله من مخالب المحتلين حتى إذا عيل

[5]- أنور الجندي ، مصابيح العصر الحديث: ص 135

صبره، سافر من طرابلس إلى تركيا فاشرف على بعثات الهلال الأحمر ، ثم سافر إلى المدينة المنورة وكان في هذه الأزمة حركة لا تهدأ من الثورة."[6]

ويشير بيومي إلى هذا الأمر:

"لو أخذت الحكومة العثمانية بتفاصيل الخطة التي رسمها الأمير شكيب أرسلان ونفذتها بحذافيرها، لما ضاع الأمل في إنقاذ طرابلس."[7]

الحرب العالمية التي وقعت في سنة 1914م لها أهمية كبرى في جميع العالم كله. وكما هي أثرت على سياسة العالم العربي تأثيرا عظيما، انضم العثمانيون في هذه الحرب إلى الألمان ضد الحلفاء وانضم العرب الآخرون إلى الحلفاء لأنهم كانوا يريدون سقوط الدولة العثمانية وسحق الأتراك الذين ارتكبوا من ضروب الظلم معهم ويطالبون بالاستغلال العربي شكيب أرسلان لم يرتض بانضمام العرب إلى الحلفاء الأوروبين، لانه كان يعلم مكائد الحلفاء ومؤامراتهم السياسية هو أيضا كان مخالفا لسقوط الدولة العثمانية بل يريد بقائها بالإصلاح فيها.

يقول أنور الجندي :

"ولكن شكيب كان أبعد نظرا منهم وأكثر تقريرا للمستقبل فقد كان يعرف أن الأتراك يرتكبون من ضروب الظلم على العرب ما يستوجب الثورة ويدعو إلى الانفصال ولكنه كان يعلم أن ذلك لم يكن ينبعث إلا من رجال الاتحاد والترقي أي من الأتراك المستعمرين من مهاجري التركستان الذين كانوا يريدون بعث الجامعة الطورانية رغبة في تحرير أوطانهم من الاحتلال الروسي. وان عامة الأتراك لايزالون متمسكين بمبدأ الوحدة الإسلامية التي خلفت لهم ماضيهم

---

[6]- محمد رجب بيومي النهضة الإسلامية في سير أعلامها (الجزء الأول) ص : 196

[7]- المرجع السابق ، ص: 196

المجيد ولذلك فالأوفق للعرب أن يغالبوا التيار ويطالبوا بالإصلاح حتى تكون لا مركزية عثمانية يحصل معها للعرب على حكمهم الذاتي دون أن ينهار صرح الخلافة الذي هو أساس وحدة المسلمين وحفظ كيانهم."[8]

فلما انتهت الحرب بفشل الألمان والأتراك احتل الحلفاء البلاد العربية ونكثوا عهودهم ومعاهداتهم مع العرب فواجه العرب ما حذر منه شكيب معظم بلادهم، أصبحت محتلة منقسمة بين إنجلترا وفرنسا. وفي الحقيقة احتلت فرنسا على سوريا ولبنان ، وبدأت تنتقم من كل من كان مع الساسة العثمانية، وكان منهم شكيب أرسلان.

فاضطر شكيب إلى الهجرة عن وطنه وذهب إلى بلدة ''مرسين'' التركية كانت على مقربة من الحدود السورية لعله اختار هذه البلدة ليكون بمنجاة من طغيان فرنسا من جهة وليكون قريبا من وطنه الحبيب من جهة أخرى .

"استمر شكيب حينا في ''مرسين'' ثم سافر من هناك إلى ''برلين'' واشترى هناك بيتا أقام به سنوات في عام 1924م. أسس شكيب في برلين جمعية اسمها ''هيئة الشعائر الإسلامية'' وهذه الجميعة كانت تهتم بأمور المسلمين في البلاد الألمانية وقد تشكلت من أعضاء جميع الشعوب الإسلامية واشترك فيها مؤظفو السفارات الإسلامية كأعضاء عاملين."[9]

لم ينج شكيب أثناء الحرب العالمية الأولى من الأقاويل والافتراء والتشوية على ما تأئيده للخلافة العثمانية والأتراك. "فاتهم أعداء شكيب بأن النازيين جعلو له مالا يرتزق منه ليكون داعية لهم في البلاد العربية."[10]

---

[8]- الجندي مصابيح ص: 135

[9]- الشرباصي شكيب أرسلان ص: 41

[10]- كوكن أعلام النثر و الشعر في العصر العربي الحديث ص: 375

ولكن شكيب أرسلان كان مخلصا في سياسته الإسلامية ولنصرة العرب والدعاية لهم كما ذكرنا أنه لا يؤيد الخلافة العثمانية والأتراك إلا لتأييد العرب والمسلمين:

"هو لا يطمع عند قومه بمنصب أو جاه أو مال كما قد عرف الملك فيصل الأول إخلاص شكيب للقضية العربية ورأى أنه كان يعمل للعرب تحت ظل الخلافة العثمانية."[11]

فهم العقلاء من العرب مواقف شكيب فأكرموها وقدروها حق قدرها. "فإنهم حين اجتمعو في القاهرة شكلوا اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني سنة 1922م. قرروا تأليف وفد عربي يدافع عن سورية وفلسطين ويسعى لتحرير هذين القطرين من براثن الاستعمار فيبسط قضيتها أمام الرأي العالمي ويتابع المحاماة عن حقوقهما والعمل لاستقلالهما جمعية اللأمم بجنيف ولم يجدوا بدا من الاستنجاد بشكيب والاستفادة من ثقافته ورجولته وإخلاصه ونضاله فانتخبوه سكريترا، وأرسلو إليه برقية إلى برلين تدعوه إلى تأليف الوفد المذكور."[12]

فسافر شكيب من برلين إلى جنيف في 1935م للقيام بهذه المهمة بتكليف من قومه ليكون سفيرا لهم في الغرب وليناضل في سبيلهم ، فقام شكيب بأمر الوفد السوري الفلسطيني فقرع أبواب الدول وقابل المسؤولين، احتج وخطب وكتب لإنصاف العرب والمسلمين هو كان يخطب في كل مكان بالمأدب والحفلات والمقابلات ويهاجم على الاستعمار، ويدلل على ظلمه وجوره وخططه في تهديم البلاد العربية، وقتل أحرارها وسجن زعماءها واستثمار مواردها وعزها عن العالم.

---

[11]- المرجع السابق ص: 376

[12]- كوكن أعلام النثر و الشعر في العصر العربي الحديث ص : 376

أصبح شكيب أرسلان رجلا مشهورا بأعماله البارزة والممتازة في جميع العالم العربي ووجد مكانا عاليا لدى المسلمين كما يقول يوسف كوكن :

"ذاع صيت شكيب في العالم العربي من مشرقه إلى مغربه وعرف العرب والمسلمون أيادي الرجل على قضايا في الدفاع عنهم فأصبح موضع ثقتهم جميعا ومحل احترامهم وإكبارهم وزال عنه كثير من التهم التي كان يلصقها الدساسون في العهد العثماني."[13]

وشكيب أرسلان قد دعا العرب المسلمين إلى الوحدة العربية وهو كان يعتبرها أمرا هاما فوق جميع الأمور الأخرى وكان يرى في الوحدة قوة للمسلمين والعرب وهو أيضا يعتقد على هذه الحقيقة أن سيطرة الأعداء عليهم ليست هي إلا لعدم الوحدة فيما بينهم، كما يوضح أحمد الشرباصي:

"لقد ظل شكيب يبدئ ويعيد في الحديث عن الوحدة العربية والدعوة إليها والتحريض عليها وقد بدأ بذلك في وقت مبكر عقب الحرب العالمية الاولى. وبقي ينادي هذه الفكرة ويراوجها ولا يترك فرصة مناسبة للحديث عنها فهو في سنة 1929م، يتحدث عن الصهيونية وخطرها وممالأة انجلتره لها، واستخفافها بالعرب، فيشير إلى أن علة العرب هي التفكك والتمزق وأن سبب تغلب أعدائهم عليهم هو اختلافهم فيها بينهم وعدم التقائهم ، على كلمة واحدة وهدف واحد."[14]

في موضوع آخر هو يقول:

"ولقد تلمس شكيب كل طريق وكل أسلوب في الدعوة إلى الوحدة العربية. حتى قال: ‘‘بكينا حتى عمينا على أن نرى تحقيق مشروع الحلف العربي، وأجمعنا كلنا على أنه لا حياة للعرب في هذا العصر وما يليه إلا به لأنه الوسيلة

[13]- المرجع السابق ص: 378
[14]- الشرباصي شكيب أرسلان ص: 113

الوحيدة لصد الاستعمار الذي أنشب براثنه لقسم من بلد اننا وهو يتهدد القسم الثاني منها. فإذا أنشب براثنه بجزيرة العرب كما أنشبها بسورية والعراق وفلسطين والكويت والبحرين وعمان وحضر موت وعدن الخ، لم يبق عربي لي وجه البسيطة حرا."[15]

حينما نحن نتفكر في حياة شكيب أرسلان نجد أنه نذر جميع حياته لخدمة الإسلام والعربية. واهتم اهتماما كثيرا بالوحدة العربية وواجه مشاكل كبرى، ولايزال يطارد من هناك إلى هناك يقول أحمد الشرباصي:

"تطارده تركية لاهتمامه بقضايا العرب ولحملته على تنكر حكام الأتراك للخلافة والإسلام. وإنجلترا تطارده لمناصرته الدول التي يحتلها الإنجليز، وفرنسا تطارده لدفاعه عن سورية ولمناصرته المغرب." [16]

ولكن لم تتأثر قوة إيمان هذا الرجل الكبير بحوادث الزمان، وظل يقوم بمهمة الديدبان حول قضايا الإسلام والعروبة فما يكاد يبلغه أن أمرا من أمور المسلمين أو العرب يحتاج إلى دفاع أو تبيان أو نشر حتى يسارع إلى ذلك بروح المسلم الغيور الذي أتاه الله يقظة في الجنان وبراعة في البيان.[17]

"الجهاد الذي يقوم به شكيب ليس هو للحرية العربية وللمسلمين فقط بل هو كان لجميع الإنسانية التي كانت تسحق تحت رحى الظلم والعدوان.

يقول احمد الشرباصي:

---

[15]- المرجع السابق ص: 113

[16]- الشرباصي ، شكيب أرسلان ص: 48

[17]- المرجع السابق ، ص: 191

"عاش شكيب حياته مجاهدا في سبيل الحرية والاستقلال، ولم يكن جهاده محصورا في دائرة وطنه وبلده سما به إلى أن يكون جهاده واسع النطاق يدفع عن كل مظلوم ويرد كل عدوان وينصر كل ضعيف."[18]

في موضع آخر:

"لقد نذر الأمير شكيب أرسلان حياته ومواهبه لحقوق هذه الأمة لم يفرق بين أحد أبنائها أو قطر من أقطارها فجاهد جهاد الأبطال وكافح بكل ما لديه من قوة وحيوته، واستخدم جميع مواهبه الممتازة في سبيلها."[19]

وكما نحن نعرف أن معظم البلاد العربية كانت تعاني من الاستعمار الأوروبي خلال الربع الأخير للقرن التاسع عشر والنصف الأول للقرن العشرين، أثر الاستعمار المذكور خلال هذه الفترة على مقومات العرب وعاداتهم وقوميتهم وتقاليدهم تأثيرا عظيما كما هو أثر على فكرهم وعقلهم .

ظهر بنتيجة هذه التطورات "دعاة الحضارة العصرية والقوانين والوضعية والنظم المدينة الذين كانوا يرون أن الشريعة الاسلامية، لا تصلح لهذا الزمان لذلك فعلى المسلمين أن يقلدوا أوروبا في كل شيء من العلوم إلى القوانين ومن النظم إلى الأخلاق" [20]

أما شكيب أرسلان فكان من الرجال الذين يريدون أن يكون المجتمع الإسلامي على نهج القرآن الكريم والسنة النبوية وكانوا يخالفون المسلمين الذين يقلدون أوروبا في كل شيء وفي مقوماتهم وتقاليدهم وعاداتهم.

---

[18]- الشرباصي ، شكيب أرسلان ص: 52

[19]- المرجع السابق ص: 53

[20]- محمد أحمد درنيقة ، السيد رشيد رضا إصلاحاته الاجتماعية والدينية ص: 17

يعتبر شكيب أرسلان الحضارة الإسلامية حضارة عظيمة، وأمجد الحضارات الأخرى وكان معترفا بهذه الحقيقة أن العرب المسليمن تمكنوا من مقاليد العلوم والفنون وسادوا على أكثر الأقطار العربية بهذه الحضارة الباهرة كما يقول:

"الحضارة الإسلامية هي من أشهر الحضارات وتخلد حتى الآن بأثرها الباهر، حينما اتحد المسلمون هذه الحضارة نالوا منها الهدى الإلهى القرآني ، العلمي الروحي، رائدا على الطريق ، فمهدوا ومضوا فيه ، وأدخلوا الناس بالحكمة ، والموعظة الحسنة، وفي نور ربهم الذي أشرقت لهم الظلمات ، وصلح عليهم أمر الدنيا والآخرة ونالوا منها مقاليد العلم والثقافة، وبثوا أضواء هذه الحضارة في المشارق والمغارب بينما كانت أوروبا تغط في نومها العميق."[21]

لأجل ذلك كان يود شكيب أرسلان أن ينبث في المجتمع الإسلامي العربي ضوء الحضارة الإسلامية المذكورة ويكون محفوظا عن سيئات الحضارة الأوروبية لذلك هو يقول:

"الغربيون يشربون الخمر ويلعبون القمار ويرقص رجالهم مع النساء إلى منتصف الليل فهل يراد منا أيضا أن نقلدهم في ذلك."[22]

كان شكيب أرسلان رجلا مسلما يعرف أن نجاح المسلمين فقط في التزامهم بتعليم القرآن الكريم واتباع الشريعة الإسلامية والانحراف عن هذا الشيء لا يسوقهم إلا إلى الدمار والهلاك. يقول أحمد الشرباصي:

"وشكيب يدرك أن الله هيأ للمسلمين بالقرآن الكريم كتابا ما فرض فيه من شيء وأمرهم أن يتدبروه، وأن يعملوه به ، وبهذا التدبر وهذا العمل حقق

---

[21]- الشرباصي ، شكيب أرسلان ص: 205

[22]- المرجع السابق ، ص: 205

المسلمون في صدر الإسلام ، ما حققوه من فتح ، ومجد، وقوة، ولكنهم حينما أهملوه، ولم يعملوا به ، وجعلوه لمجرد الترنم فقط، كما صنعوا في القرن الأخيرة لم يصبح أمامهم إلا العذاب الأليم والأغلال في أعناقهم."[23]

شكيب أرسلان لا يخالف المسلمين الذين يحصلون على العلوم العصرية مع المحافظة على دينهم ومقوماتهم بل هو يشجعهم ويحرضهم للبحث والتمحيص. ولما شاهد أن الأوروبين يسابقون في مجالات العلوم والفنون والبحث والتحقيق فلم ير حرجا وجناحا في تقليد المسلمين الأوروبين في المناهج التعليمية الأوروبية كما هو يقول:

"فإذا كنا حقا نريد نتفرج فلنحذ حذو هؤلاء القوم في عروجهم معارج المدنية كلها وسلوكها طرق التحقيقات العلمية."[24]

يقول في موضع آخر:

"أنصح للمسلمين أن يقتبسوا العلوم الأوروبية مع المحافظة على معتقداتهم ومشخصاتهم وأنا لا اعتقد أن هناك علما أوروبيا وعلما شرقيا فالعلم مشاع بين البشر أجمعين واليابانيون أخذوا عن الغرب ما نفعهم وحافظو على شخصيتهم ، ودينهم."[25]

شكيب أرسلان كان علما من أعلام العروبة والإسلام، وكان رجلا بالثورة العظيمة في سبيل الاستقلال والحرية ولعب دورا هاما في تحرير البلاد العربية من مخالب الاستعمار الأوروبي. ولايزال يجاهد ضده حتى أسلم روحه إلى بارئها ولفظ انفاسه الأخيرة ليلة الاثنين في 9 ديسمبر 1946م الموافق من

---

[23]- الشرباصي ، شكيب أرسلان ص: 224
[24]- الشرباصي ، شكيب أرسلان ص: 81
[25]- المرجع السابق ص: 222

المحرم سنة 1366هـ. دوي النبأ الفاجع فهرع الأمراء الأرسلانيون إلى بيته ليرسلو إليه النظرة الأخيرة لو داعه صلى عليه الجامع العمري ببيروت ودفن في مقبرة أبائه في الشويفات."[26]

شكيب أرسلان .. أمير البيان والوحدة الإسلامية

من الأسماء قليلة الشهرة في وسط الأجيال الجديدة ولكنه كان علم باز في العالم العربي والإسلامي كمفكر وشاعر وسياسي في بدايات القرن العشرين وكانت له مواقف واضحة تجاه الأحداث التي عاصرها في تلك الفترة وخاصة مع بداية ظهور الفكرة القومية وإحياء فكرة الجامعة الإسلامية.

وهو أحد الشخصيات الأدبية الهامة والذي تنوعت مجالات اهتماماته فتمكن من اختراق العديد من المجالات حاصدا قدر غزير من الثقافة والعلوم فعرف كأديب، شاعر، صحفي، مؤرخ، داعية، سياسي ومترجم، وأمير من دروز لبنان، وقد حمل شكيب أرسلان على مدار حياته هموم المسلمين وهموم أمته فعمل على الدفاع عنهم ومناقشة قضاياهم وتعريف العالم بهم، وبحث أرسلان في السياسة الإسلامية قبل انهيار الدولة العثمانية،هذا بالإضافة لدعوته للوحدة الإسلامية والوحدة الثقافية.

موقف الأمير شكيب أرسلان من الطائفية

بعد الحرب الطائفية في لبنان عام 1860 بين المسيحيين والدروز، كان النظام الجديد للبنان والذي تبناه ممثلو الدول الأوروبية الست الكبرى (فرنسا، إنجلترا، روسيا، ألمانيا، النمسا وإيطاليا) والباب العالي في حزيران 1861 ، كان مؤاتياً للطائفة المارونية، ويقوم على الاعتراف بالمبدأ الطائفي وتشجيعه له، فوفقاً

[26]- كوكن ، أعلام ص: 312

لهذا النظام منح لبنان الحكم الذاتي المحلي في ظل حاكم مسيحي عثماني هو المتصرف.

وكان نظام المتصرفية هذا وما يتبعه من تنظيم للقائمقاميات الطائفية لمصلحة الموارنة، وبسبب تهميش هذا النظام الجديد لجبل الدروز، حيث ظل الدروز على هامش التطور الاقتصادي الذي عرفه الموارنة بفضل الدعم الخارجي لهم، من الطبيعي أن يرى الأمير شكيب بأن الواجب يقتضي تدعيم موقع الأسرة الأرسلانية الدرزية في هذه القائمقامية، وأن يكون عل رأسها من يحمل تاريخ العائلة الفعلي ويجسد تراثها العربي الإسلامي ومن يعمل على التحام الدروز بالدولة العثمانية وتحقيق الذوبان الاستراتيجي للدروز وسط المحيط الإسلامي والسوري الأوسع.

لذا نجد الأمير شكيب غاص في الصراعات الحزبية الجبلية الضيقة في السنوات 1892 -1908 ، وقام بعدة مأموريات عام 1902 في جبل حوران لإقناع الثوار الدروز هناك بالرجوع إلى طاعة الدولة العثمانية، وكان حاسماً وواضحاً في موقفه من ضرورة وحدة الدروز والتفافهم حول الدولة في تلك المرحلة، التي تميزت على حد وصف جميع المراقبين والباحثين بضعف الدروز وقوة الموارنة.

قام الأمير شكيب بجهود جبارة في توحيد القوى لإدراج جبل الدروز ضمن إطار الدولة، فقد أقام تحالفاً بين العائلات الدرزية والعائلات اللبنانية، وهذا التحاف قام بالحركة المعروفة با سم المظاهرة الكبرى.

حيث توجه وجهاء هذه العائلات على رأس وفود من أعيان البلاد من جميع الأقضية والطوائف إلى بيت الدين مطالبين بشمولالدستور لجبل الدروز... ثم تحولت هذه المظاهرات إلى حركة عصيان جماهيري أرغمت المتصرف المسيحي على إعلان الدستور في جبل الدروز.

وكان من النتائج المباشرة لهذه الحركة عزل كبار المأمورين الذين كان المتصرف يعتمد عليهم، وتعيين مكانهم أشخاص من التحالف أو الحزب المؤيد للأمير شكيب ومن جملتهم تعيين الأمير نفسه قائمقاماً لمنطقة الشوف[27].

[27]- شكيب أرسلان ، ويكيبيديا

الفصل الثاني:

شكيب أرسلان أخلاقه و صفاته

مما لا ريب فيه أن شكيب كان رجلا مشهورا عظيما يقول الشرباصي عن صفاته:

"أما الأخلاق فأخلاق الأنبياء والمرسلين ، صفاء قلب ونقاء ضمير، لا ضغينة معهما ولا حسد، أساء اليه كثيرون واجتهدوا في الإضراربه، فعفا عنهم عفو الكريم المقتدر أحياء ، ورثاهم الواله المتفجع أمواتا، بل هو قد قابل إساءة كثيرة منهم بالإحسان إليهم." [28]

و من المناسب أن نلاحظ في مطلع هذا الحديث أن لشكيب طهارة قلب وصفاء نفس، فهو لا يحمل الأحقاد ولا يستبقي الضغائن، ولقد جرت مناقشة لغوية بينه وبين إبراهيم اليازجي في سنة 1898م بسبب نقد اليازجي لأمير الشعراء أحمد شوقي .

وعلى الرغم من أن شكيب كان في ذلك الوقت شابا فتيا، وكان اليازجي شيخا محنكا، سار شكيب في نقاشه هادئا مؤدبا بينما كان اليازجي عنيفا قاسيا إذ كان لا يحتمل أن يخطئه أحد ويعارضه في اللغة إنسان.

واستطرد اليازجي في رده على شكيب إلى أمور شخصية لا علاقة لها بالبحث مثل قوله عن شكيب أنه "لم يدس عتبة التحقيق في علم من العلوم".

ومع ذلك نجد أنه عندما مات اليازجي سارع شكيب إلى رثائه بطيب قلب وصفاء نفس.

وكان شكيب ينفي عن نفسه خلق الحسد أكثر من مرة و نجح في هذا الأمر، يقول في كتابه عن شوقي:

---

[28]- الشرباصي ، شكيب أرسلان ص: 238

"ومن نعم الله على أنه عافاني من داء الحسد الذي قد يبتلى به الكثيرون، لا سيما من رجال الأدب لايزال الواحد منهم، يتعقب ويترقب حتى يجد لأخيه غلطة يبرد غلته بتكرارها وتنبيه الأفكار إليها، وأنا لم أك حاسدا لشوقي ولا كافيا إياه حسدي ونفاستي وغصتي برفيع مقامه فحسب، بل كنت مفتخرا به فرحا بنبوعه، سعيدا بعبقريته، أجده من حسنات هذا الزمان الكبرى، ولاتتاح لي الفرصة للإتيان بذكره أو للاستشهاد بشعره إلا توردتها."[29]

وهو رجل يتناسى الأحقاد، ففي مقال له سنة 1925م عنوانه:

"أزفت ساعة الاتحاد أيها العرب" يقول عن نفسه لما كنت طول حياتي أكره الوقيعة فيمن تدور عليه الدائرة ، مهما من سابق، وكنت لا أجهل مكانة المكل حسين في العرب وإمكان استفادتهم منه ، حتى بعد الدائرة التي دارت، فقد تناسيت كل ما تلذ عني به جريدة (القبلة) ، لا بل نسيت ما هو أقدم عهدا من ذلك، وهو الكتابة الرسمية في الطعن بي إلى الباب العالي يوم ذهبت إلى المدينة المنورة قبل الحرب، ثم يقول:

"فليس الآن وقت الشماتة، ولا أوان التشفي، لا بل هذا وقت تضميد الجروح وتسكين الأحقاد."[30]

ولعل هذه الصفة الحميدة عند شكيب هي التي جعلته لا يسب ولا يشتم وفي نثره، ولا يذكر عيوبا لغيره، ولا يورد من ذلك إلا ما تعلق بموضوعات وطنية أو دينية، أو ماجرت إليه حماسة تثيرها عقيدة وإيمان.

لقد كان شكيب مخلصا لأستاذه الشيخ عبد الله البستاني وظل يكاتبه طول حياته وكذلك فعل في علاقته مع أستاذه الإمام الشيخ محمد عبده.

---

[29]- الشرباصي ، شكيب أرسلان ص: 239

[30]- المرجع السابق ، ص: 242

وكتب شكيب مقالا عن المرحوم ‘‘محمد الباشهانبه التونسي’’ الذي عرفه شكيب في برلين وهو كان عضوا في النادي الشرقي الذي كان يرأسه شكيب، ولما مات دفنوه في مقبرة السملمين ببرلين. وكان شكيب رئيس لجنتها، وكان يزور ضريح هذا الصديق ويقرأ الفاتحة ويدعوله، ولكنه فارق برلين وبلغه بعد ذلك أن قبر هذا الصديق قد تشعت من الأمطار والثلوج ، فكتب في مجلته الفرنسية ‘‘لانا سيونال آراب" يستنهض الهمم لترميمه، ويعد بالإسهام في النفقة مع زميله إحسان الجابري" [31]

وكان شكيب لوفائه يحزن لموت أصدقائه حزنا بليغا. يقول بعد موت صديقه نجيب شقير في رسالة خاصة هكذا:

"إن خبر موت نجيب بك قد أحزنني بما لا مزيد عليه، وفقد خسارة كبيرة، وأمثاله في الشرقين قليلون جدا".[32]

وشكيب ممن يؤمنون بوجوب أمانة النقل، ولذلك نرى كتاباته المتعلقه بالتاريخ أو المعتمدة على النصوص يعني بالتدقيق في النقل، ولقد أرسل من برلين بتاريخ 20 نوفمبر 1924م، برقية إلى الصحف تتعلق بالقضية السورية وكان في البرقية العبارة التالية "وقالت جريدة جورنال دو جنيف المشهورة بترعتها الفرنسية" والعبارة التالية "شكوى السوريين من الانتداب الفرنسي" فنشرت الجريدة "الف باء" التي تصدر في دمشق بعد أن حذفت منها العبارتين السابقتين، فغضب شكيب في ذلك وكتب مقالا بعنوان :

"أين أمانة النقل، عتب فيه على الجريدة وآخذها، ثم افترض لها عذرا هو أنها تصدر من سوريا المحتلة بفرنسا، ولكنه يعود فيعلق بقوله ‘‘فأين حرية

[31]- الشرباصي ، شكيب أرسلان ص: 242
[32]- المرجع السابق ، ص: 243

المطبوعات إذن؟ وأين العدل والحق؟ وأين ادعاء أن السوريين راضون بالحالة التي هو فيها؟"[33]

و يعتمد شكيب في حكمه على الاعمال لا على العواطف هذا يؤدي به الاعتدال في الرأي في كثير من الأحيان، كما أنه يأخذ بهذه الطريقة في مجال السياسة، ومن شواهد ذلك قوله سنة 1934م "إننا لا نحب إيطاليا ولا نكره إيطاليا، إنما نحب عملا جيدا تسديه إيطاليا للمسلمين، ونكره عملا سيئا يتحقق لنا صدوره وعن إيطاليا بحق المسلمين" .[34]

وشكيب رجل حر غيور أنه يكره الظلم والبغي، يكرههما لقومه ومن قومه ويكرههما من الصديق والعدو، ويكرههما للصديق والعدو، ولقد قضي حياته وقلمه مشرع في يده يدافع عن المظلومين أينما كانو وكيفما كانوا.

دافع في طليعة دفاعه عن أمته العربية وعن إخوته الشرقين ودافع عن الإنسانية كلها ممثلة في أفرادها البائسين من جهة وفي قيمها الرفيعة ومثلها العليا من جهة أخرى ونازل المظالم بكل سلاح تيسر له، وهو يعبر عن كراهية للظلم تعبيرا رائعا بليغا فيه انفعال انساني واضح، وفيه شعور كريم نحو كل مظلوم من البشر فيقول:

"إني أغضب لظلم يقع على عابد الصنم ، وتفيض دموعي لاي غدر يقع ولو على زنجي من قبيلة نيام نيام، ويحترق فؤادي لمجرد تصور رضيع يقتل ، أو امرأة يصرعها السيف من أية امة كانوا.

واعتقد أن كل من ليس فيه هذا الشعور فليس له نصيب من الإنسانية، بل هو إلى الوحوش أقرب، وما اتباهي من اقوال السلف الصالح بشيء مثل قول أبي

---

[33]- الشرباصي ، شكيب أرسلان ص: 248

[34]- المرجع السابق ، ص: 249

بكر رضي الله عنه لأحد أمراء جيشه وهو سائر إلى الحرب "لا تغل ولا تغدر ولا تقتل ولدا ولا امراة ولا تجهز على جريح"

نعم فبمثل هذه الوصايا أن يفخر الإسلام فإذا كان هذا شعوري نحو المظلوم والمقهور والمذبوح من غير المسلمين، فكم يكون طبعيا أن يكون نحو المظلومين والمذبوحين من المسلمين." [35]

شكيب أرسلان كان يحرص على الحق ، يحث على الاستمساك به، والخدمة تحت لوائه، ويؤمن بأن الحق يعلو ولايعلى عليه، ثم يورد كتتيبة من الكلمات القرآنية المجيدة المزكية للحق الداعية إلى تائيده "الحق من ربك – والوزن في يومئذ الحق – ولا تغلو في دينكم غير الحق – والله لا يستحي من الحق – يريد الله أن يحق الحق -- ويحق الحق بكلماته – والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

وما دام الحق يسيطر على شكيب فإنه يصبح جريئا في الجهر به التعبير عنه، ويصبح شجاعا في مهاجمة من يستحق المهاجمة، وحينما نستعرض كتابات شكيب فنجد فيها كثيرا من شواهد جرأته وشجاعته. فقد نقد ملوكا وأمراء، وحكاما وأغنياء ، وأقربا وبعداء، ودافع عن قيم ومبادئ كان يتنكرلها أناس في أيديهم أسباب الإيذاء كما أن في أيديهم وسائل النعماء ومن أمثلة عباراته الجرئية قوله: "ومن أكبر عوامل تقهقهر المسلمين وأخلاق أمرائهم بنوع خاص، وظن هؤلاء – إلا من رحم ربك – إن الأمة خلقت لهم وأن لهم أن يفعلوا بها ما يشاءون ، وقد رسخ فيهم هذا الفكر، حتى إذا حاول محاول ان يقيمهم على الجادة بطشوا به عبرة لغيره.

[35]- الشرباصي ، شكيب أرسلان ص: 251

وأتى العلماء المتزلفون لأولئك الأمراء المتقلبون في نعمائهم ن الضاربون بالملاعق في حلوائهم ، وأفتولهم بجواز قتل ذلك الناصح ، بحجة أنه شق عصا الطاعة ، وخرج على الجماعة"[36]

ولنتذكر أن هذا الكلام قد صدر عن شكيب سنة 1929م أي في وقت كان سلطان الأمراء فيه مطلقا، وحرية الرأي معدومة أو مهضومة، ولرجال الدين سلطانهم ورهبتهم .

ويعود في سنة 1935م ليعبر عن جرءته وشجاعته وجهره بالحق دون خوف أو ضعف فيقول:

"ونحن لا نحابي أحدا ولا نخشى أحدا، وما جرت لنا العادة في كل حياتنا أن نتوقف عن إبراز أفكارنا أن يغتاط منها زيد، وعمرو، فلهذا قلنا أمس ونقول اليوم وسنقول غدا، لا نرضى باستعمار دولة غربية لدولة شرقية، بل لا نرضى بتسلط أي شعب على أي شعب هذا مبدأ مقدس لا نحيد عنه".[37]

وشكيب رجل يقره المناصب ولا يحرص على الوظائف، ولقد أشاع عنه بعض أعدائه في سنة 1927م قد تقرر تعيينه سفيرا لسورية في باريس، وكانت فرنسا ما زالت محتلة لسورية، فكذب شكيب هذا، وذكر أنه لا يقبل منصبا ولو استقلت سوريا تمام الاستقلال، فكيف يقبله وهي على هذه الحال ثم قال"للمناصب أناس مولعون بها ولست منه الحمد لله".[38]

وقد مرت السنوات بعد السنوات يعمل ويجاهد حتى قارب الثمانين، دون أن يقبل على الوظيفة أو المنصب ، ولقد أشاع عنه أعداؤه أن صلته بعبد العزيز

---

[36]- الشرباصي ، شكيب أرسلان ص: 252
[37]- المرجع السابق ، ص: 252
[38]- الشرباصي ، شكيب أرسلان ص: 254

بن سعود رشحته لمنصب سفير للحجاز في إحدى الدول فنفى ذلك ، بينما ذكر ابن سعود أنه يرحب بقبول شكيب مثل هذا المنصب.

محاولات المستعرين للنيل منه

سعى المحتلون إلى تشويه صورته أمام الجماهير، فاتهمه المفوض الفرنسي السامي المسيو" جوفنيل "بأنه من أعوان" جمال باشا السفاح"، وأنه كان قائدًا لفرقة المتطوعين تحت إمرته، وكان" شكيب "قد تولى قيادة تلك الفرقة من المتطوعين اللبنانيين لمقاومة الدول التي احتلت" لبنان"، وكان من الطبيعي أن يكون تحت إمرة" جمال باشا "باعتباره قائد الفيلق الرابع الذي تنتمي إليه فرقة"شكيب"، واستطاع" شكيب "أن يفند أكاذيبهم، ويفضح زيفهم وخداعهم.

كان شكيب لا يثق بوعود الحلفاء للعرب، وكان يعتقد أن الحلفاء لا يريدون الخير للعرب، وإنما يريدون القضاء على الدولة العثمانية أولاً، ثم يقسمون البلاد العربية بعد ذلك. وقد حذر "شكيب أرسلان" قومه من استغلال الأجانب الدخلاء للشقاق بين العرب والترك.

ولكنه حينما رأى الأتراك يتنكرون للخلافة الإسلامية ويلغونها، ويتجهون إلى العلمانية، ويقطعون ما بينهم وبين العروبة والإسلام من وشائج وصلات؛ اتخذ شكيب موقفًا آخر من تركيا وحكامها، وبدأ يدعو إلى الوحدة العربية؛ لأنه وجد فيها السبيل إلى قوة العرب وتماسكهم.

وعندما انتهت الحرب العالمية الأولى حدث ما حذر منه شكيب أرسلان، فقد برح الخفاء، وتجلت حقيقة خداع الحلفاء للعرب، وظهرت حقيقة نواياهم وأطماعهم ضد العرب والمسلمين، خاصة بعدما تنكر الأتراك للخلافة الإسلامية، واتجهوا اتجاهًا علمانيًا.

وظل شكيب أرسلان مطاردًا من أكثر من دولة، فتركيا تطارده لاهتمامه بقضايا العرب، وحملته على تنكر حكامها للخلافة والإسلام، وإنجلترا وفرنسا تطاردانه لدفاعه عن شعوب الأمة العربية ودعوته إلى التحرر، وتزعمه جهاد ضد المستعمرين، كما ظل مبعدًا لفترة طويلة من حياته عن كثير من أقطار الوطن العربي، لا يُسمح له بدخولها، خاصة مصر وسوريا اللتين كانتا تشكلان قلب الأمة العربية.

ولشكيب نظرة وفراسة صادقة، وطالما تنبأ عن أمور قبل وقوعها فجأة كما حث ولا لانه أوتي علم الغيب – فالغيب يعلمه الله، ولكن لأنه يحسن التدبر للأمور ويحسن التطلع من العواقب.

فجملة القول أن أمير البيان شكيب أرسلان كان رجلا فيه الحماسة الحيوية والتواضع في مواطنه والاعتزاز بالنفس في مواطنه والتحلى الخصال الكريمة يتوارثها العرب كابرا عن كابر إنه قد ترك أثرات إيجابية في حياة العرب وغيرهم بكتبه و مقالاته و خطبه.

أعمال و نضال

شغل أرسلان عددا من المناصب الإدارية، فتم تعينه مديراً للشويفات سنتين، ثم قائم مقام (محافظ) على الشوف عام (1902م)، وظل بهذا العمل ثلاث سنوات، ثم استقال وتم انتخابه نائباً عن منطقة (حوران) بالجنوب السوري، في مجلس المبعوثان (البرلمان العثماني)، وعُين مفتشاً لجمعية الهلال العثماني، وسافر تحت لواء هذا الهلال إلى طرابلس الغرب للدفاع عن إخوانه هناك، فكان

يحث الهمم ويؤمن المؤن، ويضمد الجرحى، كما وقف في خطوط القتال مؤمناً بأنه: (إن لم ندافع عن صحارى ليبيا، لا نستطيع الحفاظ على جنان الشام).

انتخب شكيب أرسلان سكرتيراً لمؤتمر الشعوب المقهورة في (جنوى)، وفي عام (1923 - 1925م) أقام في (مرسين) بتركيا ليكون على مقربة من سورية المتحفزة للثورات، وللقاء والدته وعائلته هناك. وفي عام (1926م) نال شكيب أرسلان الجنسية الحجازية السعودية لاحقاً.

كما انتخب شكيب في تموز (1926م) في لجنة رئاسة (مؤتمر الخلافة)وحركة مؤتمر الخلافة حركة إسلامية عارمة ثارت بعد قرار كمال أتاتورك إلغاء الخلافة في آذار (1924) وقطع روابط تركيا بالعرب والمسلمين.

دعاه عرب المهجر في أمريكا الشمالية إلى ترؤس مؤتمرهم المنعقد في (ديترويت)، فلبى الدعوة عام 1927م، وسافر إلى أمريكا بعد أن طاف في روسيا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا، وأخذ يغذي الصحف العربية في كل مكان، وراح ينشر مذكراته في جريدة (مرآة الغرب) بنيويورك، تحدث فيها عن جمال السفاح ومقاومته له وردعه إياه عن فظائعه المنكرة في قتل الأحرار من العرب، وتحذيره لهذا الضابط المتكبر من نتائج أعماله على الدولة العثمانية وعلى رابطة العرب و الترك .[39]

أقوال الأعلام في أمير البيان

- جاحظ عصره، وإمام من أئمة الكتاب، وشاعر مجيد، وناثر فذ، سخر قلمه طويلاً لنصرة قضايا العرب والمسلمين، وهو من العلماء بالأدب والسياسة والتاريخ.

[39]-http://www.saaid.net/- مقالة : أمير البيان شكيب أسلان

دكتور / محمد موسى الشريف

- إن شكيب أعظم شخصية عربية، وكان لسان الإسلام، وأحسب أن مقالاته لو جمعت لجاء منها كتاب في ضعف حجم الأغاني.[40]

الأستاذ علي الطنطاوي

- لو تفرغت طائفة من حملة الأقلام جم عديدها ، فياضة قرائحها ، فيما يشاء الله من مسائل السياسة و الاجتماع و الأدب ، و مباحث التاريخ و الأخلاق ، لكتابة ما كتب من الفصول و المقالات لتعذر عليها أن تأتي مجتمعة بما أتى به ذلك المعلم المفرد.
- و إذا كان قد رضى لنفسه في الشعر أن يكون المقل المجيد ، فلا مشاحة في أنه انفرد بين المترسلين بأنه المكثر المجيد .

خليل مطران

- .. أميري الذي أقام أهل الأدب و البيان عرشا لا تدانيه عروش ذوي التاج و الصولجان ، و ما ذلك إلا أنه أصبح نصير العربية و خادم الإسلام .

أحمد ذكي باشا

- أحسن تلاميذي و أقربهم إلى الأمير شكيب أرسلان .

الشيخ عبد الله البشقاني

[40] - http://almisk.net/ - مقالة موسى الشريف

- ملأ ذكره العالم الإسلامي و ملأت كتاباته الصحف العربية في المشرق و المغرب ، و عرف ببلاغة الأسلوب و إشراق الديباجة حتى سمي بحق أمير البيان .

الأستاذ علي الغاياتي

- أمير البيان ، و مدرة بني معد و عدنان و سائر بني قحطان .

السيد رشيد رضا

- حجة الأدب و سيد كتاب العصر .

مصطفى صادق الرافعي

ها تلك كانت سطوراً من سيرة الأمير شكيب الجليلة المطولة، وهي لا توفيه حقه لكن تظهر شيئاً من عمله وجهده وجهاده وهمته، وهذا مما يحتاجه أهل العصر والأجيال القادمة، فرحمه الله وغفر له.

الباب الثاني:

الاتجاه الإسلامي في كتابات شكيب أرسلان و أسلوبه فيها

الفصل الأول: الأسلوب لكتابات شكيب أرسلان

الفصل الثاني: كتابات شكيب أرسلان و مقالاته ضد الاستعمار الأوروبي

الفصل الثالث: الاتجاه الإسلامي والجوانب التاريخية في كتابات شكيب أرسلان

الفصل الأول:

الأسلوب لكتابات شكيب أرسلان

شكيب أرسلان كان كاتبا ماهرا، ومعروفا لكتابته بالأمورالأسلامية والعربية حتى سماه الناس بكاتب العروبة والإسلام، لأنه في معظم كتبه ومؤلفاته دافع عن العرب والإسلام يقول أحمد الشرباصي في موطن:

" والواقع أن أمير البيان أي شكيب أرسلان قد نصبه من نفسه –منذ شبابه – حارسا لقضايا الإسلام والعروبة، وظل يقوم بمهمة الديدبان حول القضايا فما يكاد يبلغه، أن أمرا من أمور المسلمين احتاج إلى دفاع اوتبيان أو نشر حتى يسارع إلى ذلك بروح المسلم الغيور الذي أتاه الله يقظة في الجنان وبراعة في البيان"[41]

لقد طرق شكيب أرسلان في كتابته كثيرا من الفنون والأغراض الأخرى فكتب في السياسة والأدب والتاريخ والترجمة والشرح والتعليق والتحقيق.

أود أن أشير إلى هذه الحقيقة أن شكيب أرسلان كان شاعرا ينظم الشعر ويلقيه وينشره قبل أن يجيد الكتابة النثرية " بدليل أنه نظم الشعر وهو في السادسة عشرة من عمره ونشر ديوانه الأول ''الباكورة'' سنة 1877م، متضمنا شعره الذي قال بين سنة 1884-1882م فبدأ بديوان منظوم ولم يبدأ بكتاة منثور".[42]

كان من أهم الأسباب التي حولت شكيب إلى النثر ''إذ أن الشعر لا يتسع لبسط الاراء و تحليل الأفكار وإلحاح في الدعوة إلى مبدأ أو عقيدة، و تأثره بالأمام محمد عبده والاستماع منه والقراءة له كما نعرف أن الإمام كان مفكرا ناثرا. وأفكاره

[41] - الشرباصي، شكيب أرسلان ص:190
[42]- الشرباصي، أدب أمير البيان ص: 10

الإسلامية مبثوثة هنا وهناك فلا عجب إذا ملأ الإمام على الأمير الشاب حياته ولاعجب أن يتابعه شكيب في فكرته وعبارته"[43]

وكذلك كان من الأفكار تأثر شكيب بأستاذ الإمام " الشيخ محمد عبده " جمال الدين الأفغاني الذي كان ناثرا، وكذلك تأثر شكيب بأساتذته الآخرين وأكثرهم ناثرون.

من جهة أسلوبه وتعبيره تأثر شكيب بالرجال المختلفين بعضهم كانوا من السابقين وبعضهم كانوا من المعاصرين له.

فمن السابقين أبو أسحاق الصابي المعروف برسائله المشهورة وقد عكف شكيب على رسائله وأدمن النظر فيها وحققها وعلق عليها ونشر منها جزءا في عام 1898م. وتأثر شكيب بالصابي في سجعه، ومنهم ابن المقفع الذي نشر له شكيب كتابه ''الدرة اليتيمة'' سنة 1910م وهذا الكتاب ترك أثرا كبيرا على شكيب حينما ينطلق في تعبيره من السجع، شكيب حين نشر الكتاب المذكور لم يمر به مرورا سريعا بل نظر فيه وأفاد منه.

ومنهم بديع الزمان الهمداني صاحب المقامات تأثر شكيب بأسلوبه ولقد أشار إلى ذلك شكيب نفسه.

"قد كنت من عهد حداثتي كثير المطالعة رسائل بديع الزمان الهمداني ، أتلو تلك الرسائل المرة بعد المرة إلى أن استظهرت كثيرا منها"[44]

ومنهم ابن خلدون وقد أشا صدي شكيب السيد رشيد رضا إلى هذا أكثر من مرة فهو يقول عن شكيب "وله في الكتابة السياسية والاجتماع أسلوب خاص يشبه أسلوب الحكيم ابن خلدون"[45]

---

[43]- المرجع السابق ص: 10

[44]- المرجع السابق ص: 13

وشكيب نفسه يترجم عن تأثره بابن خلدون في عبارته مبسوطة أوردها في صدرتعليقاته على تاريخ ابن خلدون يقول فيها عن نفسه:

ولعل عشقي أسلوب هذا الإمام في كتابة التاريخ وغرامي بطريقته في تعليل النوازل والتقرير طبائع العمران، وقد ترك أثرا في ملكتي بلغ من العمق أنه قلما كان يفارقني ففي طريق التعبير عن أفكاري والاضاء بجلاجل نفسي وخوانس صدري"[46]

أما معاصروشكيب الذين تأثربهم فمنهم أستاذ الشيخ عبدالله البستاني الذي تلقى عليه دروس اللغة العربية في مرحلة دراسة الأولى. يقول مارون عبود صاحب الرواد النهضة العربية.

"أما أنا فأرى أن الامير تأثر باستاذه الشيخ عبدالله البستاني والشيخ عبد الله كان معجما ناطقا"[47]

ومنهم أحمد فارس الشدياق المتوفى سنة 1887م وقد تأثربه شكيب في كتابه "غزوات العرب" من ناحية العناية بالحديث عن الكتابات والحفريات والآثار، وقد نقل كثير من المعلومات عن الشدياق فيما يتعلق بمالطة نقلها من كتابه "الواسطة في أحكام مالطة" وروي منه الكلمات التي يلفظها أهل مالطة لعصره.

---

[45]- الشرباصي، أدب أمير البيان ص: 14
[46]- المرجع السابق ص: 14
[47]- الشرباصي ، أدب أمير البيان ص: 16

وقد تأثر شكيب بالشدياق أيضا في كتابه "الحلل السندسية" حينما يتشبخ به في دفاع عن العرب وحضارتهم في الغرب وتصوير ما كان لهم في مجد ولذلك يكشف لنا عن أثر الشدياق في كتابه.

ويقول مارون عبود عن شكيب"وهو متأثر كشاب أول حياته الأدبية لأحمد فارس الشدياق علم اللغة المفرد فلا تعجب أن رأيت في الأمير نفحة جاهلية وثروة لغوية، فشعره الأول - وخصوصا نقائضه مع البارودي- هو أصفى شعره، وأنقاه مع أنه لم يكن اجتماع أشده وأما ترسله وخصوصا في كتابه (أنا تول فرانس في مباذله) ففيه شبه - لفظا وسردا- بأسلوب الشدياق الذي أثني عليه الأمير حين ذكر رثاء له فقال عنه أمال اللغة وفارس ميدان الإنشاء الذي عرفته بأثاره وقطفت من أنواره[48]

وتأثر شكيب الدكتور كرنيليوس فانديك - أنه طبيب عالم هولندي الأصل ولد في قرية من أعمال نيوريورك وتعلم الطب والصيدلة بمدرسة جفرسن في فيلادلفيا وأرسله مجمع المرسلين الأمريكين للتبشير الديني في سوريا . فقدم بيروت سنة 1840م وحذق العربية كل الحذق وحفظ كثيرا من أشعارها ومفرداتها وأمثالها.[49]

حينما نمعن النظر في منهج كتابات شكيب نجد أنه يستخدم مناهج مختلفة في كتاباته فتارة يستخدم السجع وتارة نراه يمضي في كتاباته مترسلا متخففا من أثقال الصنعة والصبغ البديعي وتارة نلاحظ في كتابات شكيب الاقتباس من القرآن الكريم وتارة نجد في أسلوبه ومنهجه جلجلة العبارة والتكرار والاسهاب.

---

[48]- الشرباصي، أدب أمير البيان ص: 16

[49] - خيرالدين الزركلي، الأعلام/ج6 ص: 7

السجع في كتابات شكيب أرسلان

السجع هو الكلام المقفى غير الموزون يوجد هذا الأسلوب في كتابات شكيب . و هناك دوافع مختلفة في اختيار شكيب هذا الأسلوب.

"منها أن عصره كان يشيع فيه السجع وكان أعلام الأدب فيه يسجعون، فإذا انتقل شكيب من الشعر إلى النثر لم ينس موسيقى الشعر ولم ينس اتحاد القافية في الأبيات، ومنها أنه أدمن النظر في مقامات الخوارزمي والهمداني وحفظ أكثرها وهذه المقامات تقوم على السجع ومنها تأثر به بأبي اسحاق الصابي لأن الصابي يأتي بالسجع في كثير من الأحيان "[50]

وفي السنة 1893م ينشر شكيب كتابه "الدرة اليتيمية" لابن المقفع فاذا به يقول في المقدمة "وبعد فقد رأينا إخواننا طلاب العربية أعظم ما كانوا عليها منذ أمد إقبالا وأشد ما عانوا في تحري فوائدها ايجافا وايغالا وأحس مما وجدنا هم في سبيلها اجتهادا، وأبصر ما عهدنا ها في مظان تحصيلها ارتيادا، ورأينا الجم الغفير منهم – والحق يقال- دائبا في إصلاح لغته وتثقيف ملكته، حريصا على تكريم لسانه وإحكام بيانه متوخيا طرق الانطباع على بليغ الكلام ن منتهجا خطط الأصول إلى الطبقة العالية من القول مما يجب أن يتلمس في كتب السلف وينشد في منشئات الأولين"[51]

فنلاحظ في العبارة المذكورة توالي السجعات وتعددها أمثال إقبالا إيجافا، وإيغالا، واجتهادا ، وكلمات أخرى مثل لغة، ملكة ، لسانه، بيانه.

---

[50]- الشرباصي ، أدب أمير البيان ص: 25

[51]- المرجع السابق ص: 25

تارة شكيب أرسلان يوغل ويشيع السجع في كتاباته نطلع هذا على كتابه ''تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر بحر الموسط وغذا هو لا يكتفي في السجع في صدر المقدمة لهذا الكتاب بل يشيع السجع فيها من أولها إلى آخرها فيقول في صدرها:

" ربنا إليك نفزع من مداحس القدم وبك نستعصم فيما يجري به القلم ونشهد أن لا إله إلا الله إلا أنت وحدك لاشريك لك باري النسيم ومفيض النعم وباسط الوجود إلى العدم، شهادة نعدها للنجاة إذا اشتدت الغمم، وتقي بها النار ذات الضرم ، ونشهد أن محمدا عبدك ورسولك سيد من دعا إلى توحيد بين الأمم، وسلطان من طهر أرض من عبادة الصنم المنزل عليه كلامك الموصوف القدم، المبعوث بالآيات الباهرة والحكم، اللهم صل عليه وعلى آل آله وأصحابه حملة الكتاب وليوث الكتائب في المزحم الذين اشرقت شموسهم في الشرق والغرب وأماطت الظلم وأنارت الظم"[52]

نجد في العبارة المذكورة أربع عشرة جملة مجوعة وكل منها تنتهي بكلمة في آخرها ميم وهذه الكلمات هي القدم ، القلم، النسم، والعدم، والفحم، والضرم، الأمم، الصنم، القدم، الحكم، الكرم، المزدحم، الظلم.

ظل شكيب على السجع حتى أواخر أيامه فقد كتب مقدمة كتابه المخطوط "بيوتات العرب في لبنان" وأرخها بتاريخ 19 من يوليو سنة 1946م أي قبل وفاته بأقل من خمسة أشهر وأورد فيها الكلمات المسجوعة فقال فيها:

"الحمد الله سياج النعمة ومخافة الله رأس الحكمة ونشهد أن لا إله إلا الله شهادة تستفتح بها أبواب الرحمة ونلجأ إليها في كل بادرة وأزمة ونشهد أن محمدا

[52]- شكيب أرسلان ، غزوات العرب ص: 36

عبده ورسوله كاشف الغمة وسراج الظلمة صلى الله عليه وأخوانه الانبياء والمرسلين الذين باتباع وصاياهم تمام العقل وكمال الشئمة"[53]

حين نلاحظ العبارة – المذكورة – نجد أن شكيب استخدم فيها سجعات متوالية وختمها بالكلمات التالية.

النعمة والحكمة والرحمة أزمة الغمة الظلمة الشئمة.

انتقد بعض الأدباء كتابات شكيب في السجع منهم الأستاذ محمد كرد على حينما اطلع كرد على كتابة شكيب فوجدها على أسلوب السجع فقال له لاستعمال الايجاز دون السجع وقال:

" أليس هذا الإيجاز أوقع في النفس أجم في أداء المعاني واداء إلى الافهام من أسجاع تثقل على الطباع"[54]

ولكن شكيب دفع موقفه في السجع وقال:

" أما السجع وما أدراك ما السجع، الكلام ينقسم إلى مرسل وسجع موزون ومقفى ولكل نوع من هذه الأنواع الثلثة مقام يحسن فيها أكثر من غيره والمرسل هو الكلام المعتاد الطبيعي الذي به أكثر تفاهم الناطقين بالضاد، والموزون والمقفى والشعر الذي لا رونق للغات بدونه والسجع وسط ين المرسل والموزون ، وله وقع في النفوس لا جدال فيه ويكفيه من الشرف أن كتاب الله تعالى قد نزل بهذه الطريقة وكثيرا من كلام العرب هومن نوع المسجع" .[55]

السجع له أهمية كبرى عند شكيب أرسلان واستعمل هذا الأسلوب في معظم كتاباته كما هو يقول أن السجع له وقع في النفوس لا جدال فيه في موضع

[53]- شكيب أرسلان ، غزوات العرب ص: 38
[54]- الشرباصي ، أدب أمير البيان ص: 38
[55]- الشرباصي، أدب أمير البيان ص: 38

آخر يقول شكيب "أن السجع وجد في الجاهلية وجاءت منه إلا مثله لأفصح فصحائها ثم جاءت في القرآن الكريم بل القرآن الكريم كله سجع وهو أبلغ كلا م العربي وغير العربي وجاء في كلام الصحابة والخضرمين ثم الطبقة التي تليهم ثم في التي بليهم ثم بليهم وإلى يومنا هذا"[56]

الترسل في كتابات شكيب أرسلان

يوجد أسلوب ترسل في كتابات شكيب مثل السجع، حينما نلقي النظر في العبارات التي جاء بها شكيب في كتاباته نجد هناك نماذج كثيرة لأسلوب الترسل والسهولة.

"ومن أكبر عوامل انحطاط المسلمين الجمود على القديم فكما أن آفة الإسلام هي الفئة التي تريد أن تلغي كل شيء قديم بدون نظر فيما هو ضار منه أو نافع ، كذلك آفة الإسلام حي الفئة الجامدة التي لا تريد أن تغير شيئا ولا ترضى بإدخال أقل تعديل على أصول التعليم الإسلامي ظنا منهم أن الاقتداء من الكفار كفر وأن نظام التعليم الحديث من وضع الكفارة فقد أضاع الاسلام جاحد وجامد.

أما الجاحد فهو الذي يأبي إلا يفرنج المسلمين وسائر الشرقيين ، ويخرجهم عن جميع مقوماتهم ومشخصاتهم، ويحملهم على إنكار ماضيهم ، ويجعلهم أشبه بالجزء الكيمياءوي الذي يدخل في تركيب جسم آخر كان بعيدا، فيذوب فيه ويفقد هويته ، وهذا الميل إلى إنكار الإنسان لماضيه واعترافه بأن أباه كانوا سافلين وأنه هو يريد أن يبرأ منهم، لا يصدر إلا عن الذي يشعر أنه في وسط قومه دنيء الأصل فيسعى هو في إنكار أصل أمته بأسرها لأنه يعلم من نفسه منها بمكان

[56]- المرجع السابق ص: 35

خسيس، ليس له نصيب من تلك الأصالة وهو مخالف لسنن الكون الطبعية التي جعلت في كل أمة ميلا طبيعيا بمقوماتها ومشخصاتها من لغة وعقيدة وعادة وطعام وشراب وسكني وغير ذلك الا ما ثبت ضرره"[57]

حينما نتعمق في هذه العبارة المذكورة نجدها سلسلة سهلة مترابطة الجمل ، ليس فيها السجع ولا ازدواج ولا محسنات بل استولت الفكرة على ذهن شكيب وقلمه فأخذ يوديها بأوجه عبارة وأيسرها، وسائر كلمات العبارة معروفة مألوفة ليس فيها غريب أو نادر الاستعمال.

ولننظر إلى نموذج وجيز من كتابة الأخر ''الارتسامات اللطاف حيث يقول شكيب مثلا عن جمال الهواء في بلدة ''الطائف''

" وأما طيب النسمة فإنك تحس فيها من الانتعاش وسعة التنفس ما لا تشعر في مكان وقد كان أصابني في سويسرا زكام في شعب الرئة لعل أصله من البرد فكان يضيق به نفسي كثيرا ولا سيما اذا استطال الشغل، فما مضى على في الطائف إلا قليل حتى ذهب هذا لزكام بتمامه ، وصار الهواء يجري في رئته كأنه في صحراء ولما رجعت إلى أوربا، قال لي الأطبار بعد المعاينة ، أنه لم يبق هناك أثر من شيء يقال له الزكام في شعب الرئة"[58]

فيسهل للقاري أن يفهم هذه العبارة المرسلة والسهلة والواضحة بدون أن يتوقف أو بتلبث فكان الأمير شكيب كاتبا مترسلا بارعا كما نراه وهو كان يكثر في الترسل ويلتزم له نراه في ترسله بعيدا عن السجع وغيره من المحسنات اللفظية.

الجملة القرآنية

[57]- الشرباصي ، أدب أمير البيان ص: 46
[58]- الشرباصي ، أدب أمير البيان ص: 48

الجمل القرآنية

حينما نتدبر في كتابات شكيب نلاحظ فيها أنه يكثر الاقتباس من القرآن الكريم ، و الاقتباس هو أن يضمن الكاتب كلامه شيئا من القرآن الكريم، لا على أن ذلك الشيء جزء من القرآن لأنه لو ذكره علي أنه جزء من القرآن لم يكن اقتباسا وإنما يكن استشهادا.

فنلاحظ في كتاباته "أن اقتباسه آية بأكملها أو جزءا كبيرا من آية طويلة أو متوسط الطول ولكنه في الغالب يأخذ من الآية لفظا أو لفظين وقد يتصرف في نص العبارة القرآنية حين يأخذها ويضمنها كلامه، ولنضرب لذلك طائفة من الأمثلة كي نتطلع أن شكيب كيف يأخذ الألفاظ من القرآن الكريم ويضمن كلامه فيه ففي كتاب "الارتسامات اللطاف" وردت هذه العبارة "سبحان الله بحمده" في العشي والإشراق – التي نرجو بها الخلاص يوم التلاق – فسارت بنا الباخرة رهوا- ويحفظ الأمانة علي وعلى غيري – من لا يركب في هذه الأمة الا ولاذمة – فإنهم يطوقون من هذا الحر عذابا واصبا – قد بدلت فيها الأرض غير الأرض- واعتصموا بحبل الثبات- حتى اهتزت وربطت وانبتت من كل زوج بهيج- يأكلون في بطونهم نارا ولا يخافون الله ولا يشعرون – حتي نقول: إنها خاوية على عروشها"،[59]

وفي كتاب ''شوقي وصداقة اربعين سنة'' نجد هذه العبارات''

أولا حسسنا له ركزا – يترثون به في هذا الموضوع بكرة واصيلا – لكنه خفض هناك في عيشة راضية – ليفتحوا بيننا وبينه بالحق- إلا إذا شاء التحريف الكلم عن مواضعه- ولا يغني صاحبه من الحجة شيئا – فأنارت الطريق

[59]- الشرباصي ، أدب أمير البيان ص: 48

وحصحص الحق – وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل – ولم تغن النذر - ومردوا على النفاق – ونفتنونهم لا في كل عام بل في كل يوم مرة أو مرتين.[60]

أو في كتابه "لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم " نجد هذه التعابير

" وقد أتى على العرب حين من الدهر – فالله غير مخلف وعده – انقلبو بنعمة من الله وفازوا – وانقلبت بنعمة من الله وفضل لم يمسسها سوء – أو بمثل هذا تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم – نرسل إليهم علماء ووعاظا ليتفقهوا في الدين – وساروا إذا التقى الجمآن – لا يرقبون الا ولا ذمة يحلون عاما ويحرمونه عاما – ذهبت ريحهم – رغبوا عن أوامر كتابهم وشروا به ثمنا قليلا – كبرت كلمة من أفواههم أن يقولون الا كذبا – والله غالب على أمره ".[61]

ولو رجعنا إلى بقية كتب شكيب لوجدنا فيها اقتباسا كثيرا من القرآن الكريم وهذه يدلنا على أن شكيب كان يتابع الجملة القرآنية ويستهدي بها، ويقتبس منها في كلامه هو كان استخدم الجملة القرآنية لعدة دوافع، منها حفظه الكثير من القرآن الكريم وهي صبي ومنها اتجاهه الاسلامي ونزعته الدينية منذ كان عثمانيا، ويرى المسلم أن يلتفت إليه ويحرص إليه ومنها تأثره الإمام الشيخ محمد عبده مفسر القرآن الكريم.

ولهذه الأسباب وماثلها كان شكيب أيضا يكثر من الاستشهاد بالآيات القرآنية في المواطن المناسبة لها من مقالته الاجتماعية والادبية والسياسية حتى يدفعه ذلك أحيانا إلى ''أن يجعل عنوان مقالته آية أو جزء آية كما في مقاله الذي كتبه بمناسبة دخول الألمان باريس وجعل عنوانه "ولا تجزون الا ماكنتم تعملون"

.

[60]- المرجع السابق ص: 49

[61]- أرسلان لماذا تأخر المسلمون ... ص: 12، 14، 18، 25، 103، 121، 105

واستشهد في هذا المقال السياسي من القرآن الكريم ست مرات فجاءت في هذه العبارات القرآنية "يؤيد بنصره من يشاء – وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقو فيها فحق عليه القول فدمرناها تدميرا – كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولو إلا كذبا – وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة أن أخذه أليم شديد – حتى أخذنا مترفيهم بالعذاب اذاهم يجأرون لا تجأروا اليوم، إنكم منا لا تنصرون ".[62]

وفي كثير من الأحيان يختتم شكيب مقالته بآية من القرآن الكريم كما فعل في مقاله "حاشي جمهرة العرب أن تكون مع الحلفاء" حيث اختتمه بقول الله تعالى" هو القادر أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون" وكما فعل في مقال له بعنوان "جوابنا للمسيو بيو عن بلاغه" حيث ختمه بالآية الكريمة "ولتعلمن نبأه بعد حين" وكما فعل في مقاله الطويل "لا بد عن تزغرد الحزينة ولو في عرس جارتها" حيث ختمه بقول الله تعالى"فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هناك وانقلبوا ساغرين" وكما فعل في مقاله "الإنكليزي يهيجون المسلمين على إيطاليا" حيث ختمه بالآية الكريمة امتازت "واليوم أيها المجرمون" وكما فعل في مقاله "مثألتا سوريا وفلسطين" حيث ختم بقول الله عز وجل " وما ذلك على الله بعزيز"[63]

الواقع أن شكيب أرسلان كا يستخدم الجملات القرآنية في كتاباته اقتباسا و استشهادا لذلك هو يقول :

---

[62]- الشرباصي ، أدب أمير البيان ص 51

[63]- الشرباصي ، أدب أمير البيان ص : 51

" لا يعد الاديب اديبا متحققا بعد هذا كله حتى يحفظ كثيرا من كتابات الله ومن أحاديث رسول الله عليه الصلوة والسلام ، حفظا تنهض به الملكة أن يحسن منه الاقتباس ويجيد أمامه توطئة الاستشهاد" .[64]

جلجلة العبارة لدى شكيب أرسلان

نحن نعرف من معجبات لغتنا أن الجلجل هو الجرس الذي يصدر منه الصوت العالي عادة للتنبيه نقصد بجلجلة العبارة تصمنها الفاظها فيها شدة صوتية عند نطقها وطول في مبناها يقصد المتكلم لتقوية معناها.

لما نلاحظ العبارة في كتابات شكيب نجد أنه يميل في كثير من الأحيان إلى جلجلة العبارة مثلا في كتابه ''أنا تول فرانس في مباذله'' نلاحظه هذه العبارة التارية:

"والقسط كل القسط في هذه المسئلة وأنه لا ينبغي لناشئة العرب أن يعدلوا بهذه الأم العربية البرة، أما ولا يجعلو لها من بين اللغات ندا وأن يجعلوها قطب رحي المشافنة ويعلموا أنها نعم السند يوم المماتنة فلا يرتبوا أفكارهم في لغة قلبها ولا يضلوا في الإبانة عن ذات نفوسهم سبلها، حتى إذا صفت لهم مشارعها وحنت عليهم أجارعها وصارت ملكتها جارية مجرى المنهج من نفوسهم نازلة منزلة الأدمغة من روؤسهم، كان لهم أن يستزيد من آداب الغرب والشرق ما شاؤوا وتطالت عليهم عزائمهم وأن يضموا إلى التلاد العربي القدمي ويضيف إلى الإرث العدملي الكريم حديث البدائع."[65]

---

[64]- المرجع السابق ص: 51

[65]- الشرباصي ، أدب أمير البيان ص: 62

حينما نقرأ هذه العبارة نلاحظ فيها قسطا من الجلجلة التي تشبه صلصلة الجرس ، وقد جاءت هذه الجلجلة من السجع الذي يقرب العبارة من النظم الذي ينشده الملقى، فيبلغ الأسماع قويا باتساقه وانتظام أوزانه وقوافيه. وجاءت أيضا هناك كلمات فيها زيادة حروف وقوة صوت وشدة جرس مثل "المثافنة" وهي المجالسة و "المماتنة" وهي المبادرة والمسابقة و "المشارع" بمعني موارد الشر و " الإجارع" وهي الرمال فيها الحجارة و "تطالت" بمعنى تطلعت وتطاولت و"العدملي" بمعني القديم وفي كتابه "الارتسامات اللطاب" نلاحظ فيها جلجلة العبارة.

"راتعون في بحابح الحرية الدينية – صلى الله عليه وعلى آله الغطاريف وعلى أصحابه الصناديد – وحياطتها بوحدة الكلمة من سطوات الغدر وغوائل المكر وجدت فيه الملك الاشم الاصيد الذي تلوح سيماه البطولة على وجهه والعاهل الصنديد الأنجد – وقد يعطي من الهند والجاري بأشجار سريعة السوق ورياحين باكرة السموق صار الناس يمالون في مآثرهم السوابق ومعالهم السوامق"[66]

إذا رجعنا هذه العبارة وجدنا فيها ألفاظا ذات قوة وجهارة والتوسع في الحروف وهكذا اصبحت العبارة جلجلة .

[66]- المرجع السابق ص: 64

المعنى عند شكيب

يعتبر شكيب المعنى أن يكون متساويا للفظ ، بحيث لا يطغى اللفظ فيتسع كلام صنعة ولهوا ولاتضيق الالفاظ بالمعنى الكثير فيودي ذلك إلى الضعف والسخف.

يقرر شكيب أن الكلام القليل إذا تضمن المعنى الكثير بلا تقصير كان أعلى طبقات البلاغة وإن هذا النوع من الكلام الأعلى هو المثل الأعلى وفي موطن آخر ينص شكيب على أن المعنى الجليل إذا لم يجد من اللفظ حلة سليمة قويمة تناسبه انحد الكلام وصار ورقيقا فيقول:

"نقاوة" اللغة هي شرط الأول للشاعر والكاتب والمعاني وحدها لا تكفي لا نهض بركاكة اللفظ علو المعنى وهذا أمر اتفق عليه العرب والعجم"[67]

حينما نرجع إلى أدب شكيب أرسلان وكتاباته نلمح في سهولة أنه كان رجلا واسع الاطلاع غزير المعلومات رحيب الثقافة ، وأنه له مكانته الملحوظة في لغته وأسلوبه ومعناه وقد حقق له ذلك تتبعه لآثار العلماء والأدباء وكان رجلا قوي الحافظة عند المطالعة ودائما يكون متصلا بها وكان يدمن الافادة التعليمية من كل وجه ويسارع إلى تسجيل أرائه وأفكاره.

حينما ننظر في معاني شكيب نجدها قوية وقد توافرت لها القوة بعدة عوامل ، " منها إحاطته الواسعة بمفردات اللغة ومعرفته عددا من اللغات التركية، والفرنسية ، والإنجليزية و الألمانية إلى جانب العربية ومزاولته الترجمة حينا طويلا من الزمن، وفي مقدمة أنواعها ترجمة من الفرنسية التي تكونت له عن طريقها ثقافة واسعة كان ثمرة لقراءته فيها، تحدث بها خلال زيارته المتكررة

[67]- الشرباصي ، أدب أمير البيان ص: 86

لفرنسا، وخلال إقامته الطوية في جنيف فهو يطالع الكتب والصحف المجلات ويكتب كثيرا من النداءات والبيانات والسياسة ونحوها، وهذه الثقافة الفرنسية مكنته من الرجوع إلى مصادر الشرقيين وتعريب كتبهم وتلخيص أقوالهم ومناقشاتها والرد عليها فكثرت أسماء أعلامهم في بحوثه.

"فكان يفتح نافذة على الأدب الغربي والأخرى على الأدب العربي ويجري التيار على تفكيره وآرائه فيخرج بالمعلومات النادرة على الأدبين جميعا وخاصة عن الأدب الفرنسي".[68]

وكان يكتب شكيب أرسلان على موضوعات مختلفة لما فيها من الأدب من التاريخ والسياسة والاجتماع والرحلات والتراجم وغيرها ومعانيه في هذه الكتب تختلف باختلاف موضوعاتها فهو إذا كتب في الأدب كانت معانيه في أغلب الأحيان متأثرة لمعاني القدماء وهو إذا كتب في السياسة كانت معانيه بعيدة الغور عميقة الفهم لانه يكتب عن خبرة وتجربة ومشاهدة والاتصال بالأحداث، وإذا كتب في الاجتماع تأثر بأفكار ابن خلدون ومعانيه، إذا كتب عن الرحلات حمل إلينا المعاني الضالة على التدقيق فيما شاهد، والتحقيق لما سمع، وإذا كتب في التراجم فإنما هي من الذكريات والخواطر واجترار للماضي مع حديث نفسه، وربط بشخصه بشخص مترجم له، فتجلى المعاني الذاتية كما في كتابيه الرشيد والشوقي إذا كتب في اللغة قد تتجلى فيه روح المعجمات، وظهرت النزعة السلفية في النقل والمحافظة واحترام المأثور.

[68]- الشرباصي ، أدب أمير البيان ص: 88

الفصل الثاني:

كتابات شكيب أرسلان و مقالاته ضد الاستعمار الأوروبي

كما ذكرنا سابقا أن العصر الذي وجده الأمير شكيب أرسلان ظهرت فيه قوة الاستعمار الأوربي ومأساتها وفظائحها. بسبب هذه التطورات ظهرت خلال نفس الفترة رجال كبار بالعاطفة الإسلامية والقومية العربية وكانوا يهجمون هجمة شديدة وعنيفة على الاحتلال والاستعمار .

أما شكيب أرسلان فهو كان يكره كل دولة استعمارية وازدادت كراهيته على الدولتين هما إنجلترا وفرنسا لأنهما أذاقتا العرب ألوانا من العذاب ولذلك يقول عنهما:

''لا يخفى أن الدولتين اللتين تزعمان أنهما عماد الديمقراطية في العالم – هما في الحقيقة عماد الاستعمار ومصدر استعباد الشعوب – ليس لهما شغل أهم من الدعاية الكاذبة وتصوير الحوادث بغير حقيقها تكرارا ذلك في العشي والأبكار إلى الحد الذي يوهم الجاهل ويقنع الغافل بأنه على شيء من الصحة وفي هذه الدعاية أموال دافعة أعطيات جزيلة يأخذها هؤلاء المستعمرون من عرق جبين الفقراء الضعفاء وينفقونها على شراء الضمائر والذمم''.[69]

وإذا رجعنا إلى الكتابات السياسية التي كتبها شكيب نلاحظ أنه في أغلبها يهاجم على هاتين الدولتين بشدة وينعي عليهما استعبادهما من العرب والمسلمين. ويميل إلى تمجيد ألمانيا وتمجيد هتلر في بعض الشيء ، ويعتبر هتلر نقمة الهية صبها الله على إنجلترا وفرنسا لينقم منهما لذلك يقول:

'' فلا تظن هتلر الا آلة الهية قد هيأها العزيز الجبار للانتقام من أولئك الطواغيت الذين استعبدوا ثلث العائلة البشرية ثم بلغت بهم الجرأة على الله أن زعمو أنهم إنما يحاربون لاجل حرية الشعوب''[70]

---

[69]- الشرباصي ، شكيب أرسلان ص: 138

[70]- المرجع السابق ص: 139

في معظم مقالاته أبان شكيب أرسلان العدوان والأعمال التعسفية لفرنسا، وقررأنها عدو لدود لسائر المسلمين ولذلك نجده يقول:

''أن في الانيار الأجنبية كلها لا يوجد نير أثقل ولا أغلظ ولا أشد وطأة من النير الفرنسي. هذا باتفاق كلمة المسلمين والشرقيين وجميع المقهورين في العالم ''

ويقول أيضا عن فرنسا

'' أمنعت في قهر المسلمين وهدم ممالكهم وثل عروشهم واستعباد دهمائهم وإبادة خضرائهم فلم تبق ولم تذر وأتت فيهم من أصناف الجبروت وأفانين الجبروت العظموت ما يتحدث بمثله تاريخ البشر''[71]

يكتب شكيب مقالا بعنوان ''الإنسانية الفرنسية'' يسوق فيها طائفة من فضائح فرنسا في شمال إفريقيا منها

1. أمر الفرنسيين للأسرى بحفر قبورهم بأيديهم ثم دفنهم فيها وإطلاق الرصال عليهم.
2. إشعال النار على بعض المواطنين على العرب وخنقهم بدخان.
3. إشعالهم للنار في فهم كهف اختبأ فيه بعض المجاهدين حتى اختلفو
4. تعليق بعض الجنود الفرنسيين رؤوس ضحاياهم من العرب على طرف السرج.[72]

ويذكر شكيب الحروب الصليبية وأن الأمم الأوروبية تفاوتت في الإحنة والشدة فيها، فالألمان زحفوا زحفة واحدة والإنكليز كذلك ولكن فرنسا زحفت على الشرق

[71]- المرجع السابق ص: 139
[72]- الشرباصي ، شكيب أرسلان ص: 140

في إحدى عشرة حملة صليبية كلما انطفأت نار واحدة منها أوقدتها فرنسا استئنافا، حتى كأنها أخذت الحروب الصليبية كلها على عاتقها''[73]

وفي بعض الأحيان يبالغ شكيب في التعبير عن قسوة فرنسا فكتب نحو ثلاثين صفحة وأوضح فيها مثالب فرنسا وأفاعيلها في العرب ويقول هكذا:

'' ويا ليت شعري لو أردنا على الاستقصاء من هذا البحر يراد الشواهد لحفيت الأقلام وجف المحابر وامتلأت المجلدات ولم نصل منها إلا أقل جزء''[74]

في موطن آخر يقول شكيب في وصف المسعمرين هكذا:

''لماذا لا نلومهم على الكذب وهم أهل الاستعمار ولصوص بلدان وقدجرموا فعلموا أنهم مهما كذبوا وبهتو وأنهم يخدعون الناس مائة مرة ويظهر خداعهم وتفتح حيلتهم ثم يعاودون الخداع مائة مرة تاريخ الاستعمار جافل بهذه الحوادث''

حينما نلقي النظر في مقالات شكيب وكتاباته نجد أنه أيضا قام بتصحيح الأوهام والأغلاط العلمية والروايات المستحيلة التي ينسبها الأعداء المستعمرون إلى الإسلام.

منها خرافة عن صخرية بيت المقدم فيذكر أحد المستعمرين أن المسلمين يعتقدون أنها طائرة لحقت بالنبي فكتب شكيب وقال:

''إن هذا الحديث خرافة إذ ليس في قرآن المسلمين ولا في دينهم ما يدل على ذلك وإنما الصخرة كانت مذبحا لبني اسرائيل، وإن هذه الخرافة لا يرددها إلا

---

[73]- المرجع السابق ص: 140

[74]- الشرباصي ، شكيب أرسلان ص: 140

بعض السذج من العامة، وهي لا يقرها شرع المسلمين ولا كتبهم ولا علماء هم''.
[75]

فأشار شكيب أرسلان في مقالته إلى كثرة أوهام الغربيين بشأن الإسلام والشرق وحرض على تصحيحها ودعا إلى إنشاء مكاتب استخبارات وأصدار جرائد بمختلف اللغات للدفاع عن العروبة والإسلام وحض الأغنياء على التبرع بذلك .

في سنة 1930م أنشأ شكيب أرسلان مجلة بالفرنسية ''الأمة العربية'' هي ''المجلة'' التي تتجلى فيها عواطفه الإسلامية وقوميته العربية وغيرته على قضايا بلاده وقومه وشدة حملاته على الاحتلال والاستعمار وانفعاله الطاهر. ويدافع عن الأوروبا والإسلام ومقالته في أكثرها عنيفة: كانت '' المجلة العربية'' كغيرها من الصحف العربية شبية بالعروة الوثقى لجمال الدين الأفغاني وصحف '' الفتح'' و ''الجهاد'' و ''الشورى'' و '' المؤيد'' وهذه الصحف كانت منبرا من منابر الأحرار وتحدد الاستعمار وتفضح التبشير وتثير قضايا الحق والعدالة وتشع نوار هاديا للخير والمساواة كأنها نار تحرق أباطيل المستعمرين وحججهم''[76]

[75]- الشرباصي ، شكيب أرسلان ص: 213
[76]- الشرباصي ، أدب أمير البيان ص: 103

الفصل الثالث:

الاتجاه الإسلامي و الجوانب التاريخية في كتابات شكيب أرسلان

مؤلفات شكيب أرسلان

عاش شكيب أرسلان نحو ثمانين عامًا، قضى منها نحو ستين عامًا في القراءة والكتابة والخطابة والتأليف والنظم، وكتب في عشرات الدوريات من المجلات والصحف في مختلف أنحاء الوطن العربي والإسلامي. وبلغت بحوثه ومقالاته المئات، فضلاً عن آلاف الرسائل ومئات الخطب، كما نظم عشرات القصائد في مختلف المناسبات. وقد اتسم أسلوبه بالفصاحة وقوة البيان والتمكن من الأداة اللغوية مع دقة التعبير والبراعة في التصوير حتى أطلق عليه "أمير البيان". أصدر عددًا كبيرًا من الكتب ما بين تأليف وشرح وتحقيق، ومن أهم تلك الكتب:

- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر – الطبعة الأولى- سنة (1352 هـ - 1933م).
- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر- الطبعة الأولى- سنة (1358 هـ - 1939م).
- رواية آخر بني سراج: تأليف الكونت دي شاتوبريان – ترجمة: شكيب أرسلان – مطبعة المنار بالقاهرة- سنة (1343 هـ - 1925م)
- السيد رشيد رضا، أو إخاء أربعين سنة - مطبعة ابن زيدون بدمشق – الطبعة الأولى – سنة (1356 هـ - 1937م).
- شوقي، أو صداقة أربعين سنة- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر – الطبعة الأولى – سنة (1355 هـ - 1936م).
- لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟- مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر – الطبعة الأولى – سنة (1358 هـ - 1939م).

من مؤلفاته المخطوطة:

- رحلة إلى ألمانيا.
- بيوتات العرب في لبنان.
- مذكرات الأمير شكيب أرسلان، وقد أودعها مكتب المؤتمر الإسلامي في القدس لتنشر لعد وفاته.

وله العديد من المخطوطات تتجاوز الـ (24 مؤلف) ومعظم هذه المخطوطات موجود في المكتبة الخاصة بالملك المغربي الحسن الثاني.

اشتهر اسم شكيب في مجال التاريخ كما اشتهر اسمه ككاتب العروبة والإسلام من النواحي البارزة، أنه كان مؤرخا وهو نفسه يكرر أنه أغرم بالتاريخ منذ الحداثة حيث نجده في كتابه ''بيوتات العرب في لبنان'' يقول عند تقديم الكتاب:

'' ولما كنت من بداية نشأته مغرما بعلم التاريخ وقد حررت فيه تواريخ كثيرة للبلاد النائية غنا ووجدت من الأحرى بشأني أن أورخ حوادث بلادي، وأبدي فيها وجهة نظر، مع التحري التام والمحيص البليغ الذي تستطيع الإفهام، فوضعت هذا الكتاب الذي أعطتيته عنوان ''بيوتات العربات في لبنان''[77]

وفي نهاية المقدمة يقول:

''وسلكت فيه سبيل التمحيص التي هو مزية المؤرخ الذي يحترم نفسه، ويريد أن يكون في عداد المؤرخين وما أبرئ نفسي من الخطاء إذا كانت العصمة لله وحده''[78]

---

[77]- الشرباصي ، شكيب أرسلان ص: 315

[78]- المرجع السابق ص: 315

كتب شكيب أرسلان كتبا كثيرة حول فن التاريخ أشهرها ''خاتمة تاريخ العرب في الأندلس'' و''حاضر العالم الإسلامي'' و ''الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى اقدس المطاف''

أما حاضر العالم الإسلام فهو كتاب ألفه الكاتب الأمريكي لوتروب ستودار باللغة الإنجليزية. وقام بترجمته إلى اللغة العربية كاتب فلسطيني قدير على الأستاذ عجاج نويهض. وطلب عجاج إلى الأمير شكيب أرسلان ليقول كلمة موجزة عن الكتاب المترجم ولكن شكيب أرسلان وجد الكتاب المحدود الذي يتحدث عن العالم الإسلامي كله في القارات المختلفة وبدأ الأمير شكيب أرسلان يعلق على كل صفحات من صفحات الكتاب حتى صار الجزء الواحد بعد تعليقات الأمر أربعة أجزاء ضخمة لا نظير لها فيما كتب يومئذ عن حاضر الإسلام.

وقد نسي الناس كلام الكاتب الأمريكي واشتهر الكتاب اشتهارا ذيوعا بما أبدى فيه الأمير من تعليقات نابهات. والحق أن شكيب كان نسيج وحده في موضوعه إذ لا يوجد سواه من يلم بتاريخ الدول الاسلامية في مصر والعراق والشام والحجاز والصين والاندونيشيا والأوروبا والتركية والهندية والفارس وبلاد القوقاز وليبيا وتونس والمغرب والجزائر إلمام اليقظ المتربص لكل ما يلم بهذه الأماكن من دواهي الاستعمار ونوازله، وصار الكتاب بعد تعليقات الأمير المرجع الوحيد لم يطلع على معرفة المسلمين.

كما ذكر سابقا أن الكتاب ''حاضر العالم الاسلامي'' ألفه الكاتب الأمريكي وجاء الرجل في الكتاب المذكور بالحقائق الصحيحة والحوادث السديدة التي تتعلق بالاسلام والمسلمين لذلك يقول الأمير شكيب أرسلان:

''وقد كتب كثير من المؤلفين الأوروبيين على الحركة الاسلامية ومنهم مخطئ ومنهم مصيب ومنهم من خلط قولا سديدا وآخر بعيدا، ومنهم من تكهن بالشر وأنذر بالويل ومنهم من أحسن الظن وهوى إلى الطيب من القول.

ولا شك من كوز خيرة في هذا الباب ونبلة من خيض من هذا العباب والكتاب المسمى ''بالعالم الاسلامي الجديد'' أي حاضر العالم الأسلامي تأليفه العلامة الحصيف البليغ المستر ستوادرد الأمريكي الذي أخرجه كتابا جامعا وشهابا لامعا حصيلة بحث دقيق ونتيجة احفاء عميق فهو في هذا الموضوع أفضل المؤلفات على التحقيق[79] ويقول في موطن آخر عن الكتاب المذكور

''أما كتابنا هذا في أجزائه الأربعة هذه المرة فإنه إلى أن يتاح للإسلام حظ هذا العمل الكبير ويجوز أن يقال أنه المعلمة الإسلامية الصغيرة بل هو في المباحث الجغرافية والتاريخ والإحصائية عن أقطار الإسلام النائية وبقاعة المجهولة فذ في بابه، وكذلك يمتاز هذا الكتاب بالمباحث السياسية التي فيض لمحررها أن يعلمها من عين صافية وأن يقف على الرواية الوثقي منها بطول خيرته وقرب سنده واستمر مزاولته لهذه الأمور من 47 منه وفية تراجم وأخبار لم يسجلها كتاب ولاجرى بها قلم فلا يجدها الناشد في غيره إذهى نتيجة مشاهدات الكاتب ومارآه بالعين وماسمعه بالأذن وما كان له فيه أخذ ورد، وعلى كل حال في هذا الكتاب من الطريف مالا يسع انكاره الجاحد ويضيره مرء الحاسد''[80]

حاضر العالم الإسلامي نقل إلى عدة لغات أوروبية وشرقية وذاع في جميع العالم العربي وفي أمريكا وأوروبا ذيوعا عظيما، ما كان مثله لكتاب غيره في بابه فأحله كثير من الساسة والمصنفين وأهل البحث والعلم واقبلوا عليه واهتدوا به من الإحاطة الحقة بكثير من طبائع الاسلام والانقلاب الاسلامي على اختلافه في

[79] - شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي مقدمة الطبعة الأولى ص ى
[80] - المرجع السابق ص هـ

آسيا وإفريقيا قبل الحرب العامة وبعدها واتخدوها منه عونا على تدبر ما بين العالم الإسلامي وبين الغرب الدولية المستعربة من صلات وعلاقات حق التدبر.

من كتب شكيب تاريخية ''خاتمة تاريخ العرب في الأندلس'' بين في هذا الكتاب هجوم الأسبان على الأندلس وأوضح أن الأندلس كانت مشتملة على أربع عشرة مدينة عظيمة وسبع ستين قلعة عدا الأبراج والحصون والقرى العامرة، ويقدر عدد المسلمين في الأندلس بأربعة ملايين نسمة وروي عن سلطان هؤلاء المسلمين أبي الحسن أنه استرسل في اللذات وأضاع الأجناد، وأسند الأمر إلى بعض وزرائه واحتجب عن الناس بسبب هذه التطوارات كثرت المظالم وقتل كبار القواد. والملك كان يظن أن الأسبانيين لا يغزون على البلاد لكن هجم الأسبانيون فحارب العرب معهم وقاموا بدفاع الاندلس ولكن بسبب وسائل الآلات الحربية نالوا الهزيمة فسلموا مفاتيح الحمراء إلى الملك فرديناند''[81]

وكتابه ''الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس المطاف'' نتيجة لرحلته الحجازية في سنة 1929م، يذكر شكيب في هذا الكتاب ''أنه قصد إلى الحج من لوازن إلى أيطاليا فركب البحر إلى بورسعيد. ثم أبحر إلى الحجاز ودخل الجدة ثم البلد الأمين فبادر إلى البيت العتيق بالطواف وقام بمناسك الحج ثم وصف مكة ومواقف الحج وصفا رائعا وهذا كله شكيب كان يكتب في صورة مقالة عما كان يشاهدها في أرض الحجاز ويرسلها إلى صديقه محمد على الطاهر لينشر في جريدة شورى في بيروت، ثم جمعها في صورة الكتاب المذكور في سنة 1930م وبعث به إلى صديقه الشيخ محمد رشيد رضا فنشره بمقدمة رائعة من مطبعة المنار في مصر في 284 صفحة سنة 1935م . ''[82]

---

[81] - كوكن ، أعلام ص: 412

[82]- كوكن، أعلام ص: 415

لا شك فيه أن شكيب أرسلان كان كاتبا بارعا وأديبا ماهرا في العصر الحديث وانفرد بمناهجه الكتابية وكانت حياته حافلة بالجهود الممتازة في سبيل الأدب والسياسة والنضل ضد الاستعمار. ومؤلفاته زاخرة بروائع التاريخ ترسم فيها أمجاد العرب وفتوحاتهم وآثارهم الخالدة، لذلك لا يمارى أحد في سعة إنتاجه وأوفر اطلاعه وجمال بيانه''.[83]

[83]- المرجع السابق ص: 416

الباب الثالث :

دراسة تحليلة لكتاب "لماذاتأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم"

الفصل الاول : خلفية كتاب " لماذاتأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم "

الفصل الثاني: أهم القضايا والأفكار التي عالجها وقدمها في هذاالكتاب

الفصل الثالث : عنصر الاتجاه الإسلامي في الكتاب

الخاتمة

الفصل الاول :

خلفية كتاب "لماذاتأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم"

خلفية هذا الكتاب " لماذاتأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم " تتعلق بسؤال تلميذ السيد رشيد رضا الذي كتب رسالة إلى أستاذه السيد رشيد رضا سائلا فيها عن أسباب تخلف المسلمين. كما يقول السيد رشيد رضا :

" كتب إليَّ تلميذي المرشد الشيخ محمد بسيوني عمران إمام مهراجا جزيرة سمبس برنيو(جاوه) كتابًا يقترح فيه على أخينا المجاهد أمير البيان أن يكتب للمنار مقالًا بقلمه السيال في أسباب ضعف المسلمين في هذا العصر، وأسباب قوة الإفرنج واليابان وعزتهم بالملك والسيادة والقوة والثروة، وقال في كتاب آخر :إنه قرأ ما كتبناه في المنار وتفسيره من بيان الأسباب في الأمرين، وما كتبه الأستاذ الإمام في مقالات (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) في الموضوع، وإنما غرضه أن يكتب في ذلك أمير البيان بقلمه المؤثر المعبر عن معارفه الواسعة، وآرائه الناضجة؛ لتجديد التأثير في أنفس المسلمين بما يناسب حالهم الآن؛ لتنبيه غافلهم، وتعليم جاهلهم، وكبت خاملهم، وتنشيط عاملهم، وبني الاقتراح على الأسئلة الآتية التي صارت مثار شبهة على الدين عند غير علمائه، فهو يعلم مما سمعه لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟ من دروسنا في مدرسة الدعوة والإرشاد، ومما كتبناه مرارًا في المنار والتفسير أن كتاب الله تعالى حجة على أدعياء الإسلام والإيمان، وليسوا هم حجة عليه."[84]

"اقترحت هذا الاقتراح لحمل أخي ووليي الأمير شكيب على كتابة شيء مثل هذا للمنار، وأنا الذي أنصح له دائمًا بتخفيفأحمال الكتابة عن عاتقه؛ لكثرة ما يكتب لصحفالشرق والغرب، وللأصدقاء غيرهم، فأرسلت إليه كتاب الشيخ محمد بسيوني عقب وصوله إلي، فأرجأ الجواب عنه؛ لكثرة الشواغل، إلى أن عاد من رحلته الأخيرة إلى إسبانية، وقد أثرت في نفسه مشاهد حضارة قومنا العرب في الأندلس والمغرب الأقصى، وشاهد تأثير محاولة فرنسة — تنصير — شعب

[84] - لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم ص: 34

البربر في المغرب؛ تمهيدًا لتنصير عرب أفريقية المرزوئين باستعبادها لهم، كما فعلت إسبانية في سلفهم في الأندلس — فكتب الجواب منفعلًا بهذه المؤثرات، فكان آية من آيات بلاغته، وحجة من حجج حكمته، لعلها أنفع ما تفجر من ينبوع غيرته، وانبجس من معين خبرته، فسال من أنبوب براعته، جزاه الله خير ما جزى المجاهدين الصادقين." [85]

وإليكم نص الرسالة :

" حضرة مولاي الأستاذ المصلح الكبير السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار، نفعني الله والمسلمين بوجوده العزيز، آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد : فإن من قرأ ما كتبه في المنار وفي الجرائد العربية العلامة السياسيالكبير أمير البيان، الأمير شكيب أرسلان، من مقالاته الرنانة المختلفة المواضيع، عرف أنه من أكبر كتاب المسلمين المدافعين عن الإسلام، وأنه أقوىضلع للمنار وصاحبه في خدمة الإسلام والمسلمين، وإني أرجو من الله تعالى أن يطيل بقاءهما الشريف في خير وعافية — كما أرجو من مولاي الأستاذ صاحب المنار أن يطلب من هذا الأمير الكاتب الكبير أن يتفضل علي بالجواب عن أسئلتي الآتية؛ وهي:

(1) ما أسباب ما صار إليه المسلمون (ولا سيما نحن مسلمو جاوة وملايو) من الضعفوالانحطاط في الأمور الدنيوية والدينية معًا، وصرنا أذلاء لا حول لنا ولا قوة، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) فأين عزة المؤمنين الآن؟ وهل يصح لمؤمن أن يدعي أنه عزيز، وإن

[85]- لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم ص: 37،38

كان ذليلًا مهانًا ليس عنده شيء من أسباب العزة إلا أن الله تعالى قال :(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ). [86]

(2) ما الأسباب التي ارتقى بها الأوروبيون والأمريكانيون واليابانيون ارتقاءً هائلًا؟ وهل يمكن أن يصير المسلمون أمثالهم في هذا الارتقاء إذا اتبعوهم في أسبابه مع المحافظة على دينهم "الإسلام" أم لا؟

هذا؛ والمرجو من فضل الأمير أن يبسط الجواب في المنار عن هذه الأسئلة، وله وللأستاذ صاحب المنار من الله الأجر الجزيل.

محمد بسيوني عمران

سنبس بورنيو الغربية

في ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٤٨

هذا هو نص كتاب السائل وثم يتلوه جواب أمير البيان شكيب أرسلان، قد أجاب الشيخ عن تلك الأسئلة في ضوء القرآن والسنة. وأشبع السائل و أفرحه. و عبر عن أسباب تأخر المسلمين و تقدم الآخرين ، فما كان منه إلا أن استجاب لهذا المطلب فأفاض و أفاد.

بعد أن وصل السؤال إلى الأمير شكيب أرسلان أجاب عنه بالتفصيل مستدلا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة. و إليكم بعض المقتبسات من الجواب.

[86]- المنافقون، من الآية: 8

نحن نعرف أن المسلمين متأخرون في معظم البلدان في العالم شرقا و غربا هذا لاينحصر في مكان خاص وهم متخلفون في الدين والدنيا كما يقول شكيب أرسلان في بداية جوابه:

"إن الانحطاط والضعف اللذين عليهما المسلمون شيء عام لهم في المشارق والمغارب لم ينحصر في جاوة وملايو، ولا في مكان آخر، وإنما هو متفاوت في دركاته، فمنه ما هو شديد العمق، ومنه ما هو قريب للغور، ومنه ما هو عظيم الخطر، ومنه ما هو أقل خطرًاإن حالتهم الحاضرة لا ترضي؛ لا من جهة الدين، ولا من جهة الدنيا، ولا من جهة المادة، ولا من المعنى، باستثناء بعض البلدان . "[87]

هذه هي الحالة الحاضرة التي قد نعى عليها شكيب أرسلان بينما كان المسلمون في قمة التطور والتقدم منذ ألف سنة وعبر عن أسبابها ونبه الغفلة وعدم الشعور بالمسؤلية في كل مسائل الإسلام.

"إن أسباب الارتقاء كانت عائدة في مجملها إلى الديانة الإسلامية التي كانت قد ظهرت جديدًا في الجزيرة العربية فدان بها قبائل العرب، وتحولوا بهدايتها من الفرقة إلى الوحدة، ومن الجاهلية إلى المدنية، ومن القسوة إلى الرحمة، ومن عبادة الأصنام إلى عبادة الواحد الأحد، وتبدلوا بأرواحهم الأولى أرواحًا جديدة، صيرتهم إلى ما صاروا إليه من عز ومنعة، ومجد وعرفان وثروة، وفتحوا نصف كرة الأرض في نصف قرن، ولولا الخلاف الذي عاد فدب بينهم منذ أواخر خلافة عثمان وفي خلافة علي — رضيلله عنهما — لكانوا أكملوا فتح العالم، ولم يقف في وجههم واقف. [88]

[87]- لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم ص: 39
[88]- لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم ص: 41

و يكشف عن السبب الرئيسي الذي لعب دورا بارزا في تطور المسلمين و تقدمهم :

" فالسبب الذي به نهضوا وفتحوا، وسادوا وشادوا، وبلغوا هذه المبالغ كلها من المجد والرقي، يجب علينا أن نبحث عنه وننشده، ونخفي المسألة ونمعن في النشدان :أهو باقٍ في العرب وهم قد تأخروا برغم وجوده، وتأخر معهم تلاميذهم الذين هم سائر المسلمين، أم قد ارتفع هذا السبب من بينهم، ولم يبقَ من الإيمان إلا اسمه، ومن الإسلام إلا رسمه، ومن القرآن إلا الترنم به، دون العمل بأوامره ونواهيه، إلى غير ذلك مما كان في صدر الملة، وعنجهية الشريعة."[89]

كتب شكيب أرسلان الأسباب التي فاز بها سلفهم وذل خلفهم بتركها فيقول:

"إذا فحصنا عن ذلك وجدنا أن السبب الذي به استقام هذا الأمر قد أصبح مفقودًا بلا نزاع، وإن كان بقي منهشيء كباقي الوشم في ظاهر اليد؛ فلو كان الله تعالى وعد المؤمنين بالعزة بمجرد الاسم دون الفعل لكان يحق لنا أن نقول :أين عزة المؤمنين؟ من قوله تعالى :(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ)[90].

ولو كان الله قد قال :(وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُالْمُؤْمِنِينَ)[91].

بمعنى أنه ينصرهم بدون أدنى مزية فيهم سوى أنهم يعلنون كونهم مسلمين، لكان ثمة محل للتعجب من هذا الخذلان بعد ذلك الوعد الصريح بالنصر، ولكن النصوصالتي في القرآن هي غير هذا، فالله غير مخلف وعده، والقرآن لم

---

[89]- المرجع السابق ص: 42
[90]- المنافقون من الآية: 8
[91]- الروم من الآية: 47

يتغير، وإنما المسلمون هم الذين تغيروا، ولله تعالى أنذر بهذا فقال :(إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ). [92]

فلما كان المسلمون قد غيروا ما بأنفسهم كان من العجب أن لا يغير الله ما بهم، وأن لا يبدلهم الذل والضعة، من ذلك العز وتلك الرفعة، بل كان ذلك يُعَدُّ منافيًا للعدل الإلهي، ولله — عز وجل — هو العدل المحض."[93]

بعد الاستدلال بالآيات القرآنية إنه يأتي بالدلائل العقلية مضى يقول :

" كيف ترى في أمة ينصرها الله بدون عمل، ويفيض عليها الخيرات التي كان يفيضها على آبائها، وهي قد قعدت عن جميع العزائم التي قد كان يقوم بها آباؤها؟ !وذلك يكون أيضًا مخالفًا للحكمة الإلهية ولله هو العزيز الحكيم، وما قولك في عزة دون استحقاق، وفي غلة دون حرث ولا زرع، وفي فوز دون سعي ولا كسب، وفي تأييد دون أدنى سبب يوجب التأييد؟!

لا جرم أن هذا مما يغري الناسبالكسل، ويحول بينهم وبين العمل، بل مما يخالف النواميس التي أقام الله الكون عليها، وهو مما يستوي به الحق والباطل، والضار والنافع، والموجب والسالب، وحاشا لله أن يفعل ذلك، ولو أيد الله مخلوقًا بدون عمل لأيد من دون عمل محمدًا رسوله ولم يحوجه إلى القتال والنزال والنضال، وأتباع سنن الكون الطبيعية للوصول إلى الغاية.

وتصور أمة لله عندها مئة وهي تؤدي من المئة خمسة فقط، أتعد نفسها قد أدت ما عليها وهي تطمع في أن يكافئها الله كما كان يكافئ أجدادها الذين كانوا يؤدون المئة مئة، وإن قصروا عن المئة أدوا بالأقل تسعين أو ثمانين منها؟ كل

---

[92]- الرعد من الآية: 12

[93]- لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم ص: 42،43

هذا مخالف لما وعد الله على رسله، ومخالف للعقل والمنطق، ومخالف لحكمة التشريع."[94]

و من الأسباب التي قد تسببت لتخلف المسلمين في حياتهم هي أنهم لم يبقوا على ما كان عليه آباءهم و أجدادهم، ومن المزيد أنهم تركوا الحماسة و الأخلاق النبيلة السامية الإسلامية التي كان قد تخلق بها أسلافهم إليكم المقتبس من الكتاب لشكيب أرسلان :

"اليوم فقد المسلمون أو أكثرهم هذه الحماسة التي كانت عند آبائهم، وإنما تخلَّق بها أعداء الإسلام الذين لم يوصهم كتابهم بها، فتجد أجنادهم تتوارد على حياض المنايا سباقًا، وتتلقى الأسنة والحراب عناقًا، ولقد كان مبلغ مفاداتهم بالنفائسوتضحيتهم للنفوس في الحرب العامة فوق تصور عقول البشر، كما يعلم ذلك لك أحد؛ فالألمان فقدوا نحو مليوني قتيل، والفرنسيون فقدوا مليونًا وأربع مئة ألف قتيل، والإنكليز فقدوا ست مئة ألف قتيل، والطليان فقدوا أربع مئة وستين ألف قتيل، والروس هلك منهم ما يفوق الإحصاء، وهلم جرّا، هذا من جهة النفوس، وإنكلترا بذلت سبعة مليارات من الذهب) أي سبعة آلاف مليون جنيه (وفرنسة بذلك نحو مليارين، وألمانيا أنفقت ثلاثة، وإيطالية أنفقت خمس مئة مليون، وروسية أنفقت ما أوقع فيها المجاعة التي آلت إلى الثورة ثم إلى البلشفة ، وهلم جرّا." [95]

إن المسلمين في هذه الأيام لا ينصرون الله جل و علا بل في الحقيقة إنهم لا ينصرون أنفسهم فكيف يمكن لله أن ينصرهم يقول الله عز و جل (وَلَيَنصُرَنَّ

[94]- لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم ص: 44
[95]- المرجع السابق ص: 45

للهُ مَن يَنصُرُهُ)[96]، و في مكان آخر يقول :(إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ). [97]

يقول أرسلان في تفسير هاتين الآيتين :

"ومن المعلوم أن لله تعالى غير محتاج إلى نصرة أحد، وإنما يريد بنصرته تعالى إطاعة أوامره واجتناب نواهيه، ولكن المسلمين أهملوا جميع ما أمرهم به كتابهم (في ذلك) أو أكثره، واعتمدوا في استحقاق النصرة على كونهم مسلمين موحدين، وظنوا أن هذا يغنيهم عن الجهاد بالأنفسوالأموال، ومنهم من اعتمد على الدعاء والابتهال لرب العزة؛ لأنه يجده أيسر عليه من القتل والبذل، ولو كان مجرد الدعاء يغني عن الجهاد لاستغنى به النبي صلى الله عليه وسلموصحابته، وسلف هذه الأمة فإنهم الطبقة التي هي أولى بأن يسمع لله دعاءها، ولو كانت الآمال تبلغ بالأدعية والأذكار، دون الأعمال والآثار، لانتقضت سنن الكون، وبطل التشريع، ولم يقل لله تعالى :(وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ)[98]. ولم يقل : (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ)[99]. ولم يقل للمعتذرين عن القتال :(لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ). ولم يقل : (أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ منكُم)[100]. لقد ظن كثير من المسلمين أنهم مسلمون بمجرد الصلاة والصيام وكل ما لا يكلفهم بذل دم ولا مال، وانتظروا على ذلك النصرمن لله، وليس الأمر كذلك؛ فإن عزائم الإسلام لا تنحصرفي الصلاة والصيام، ولا في الدعاء والاستغفار، وكيف يقبل لله الدعاء ممن قعدوا وتخلفوا، وقد كان في وسعهم أن ينهضوا ويبذلوا؟"[101]

---

[96]- سورة الحج ، من الآية: 40
[97]- محمد ، من الآية: 7
[98]- سورة النجم من الآية: 39
[99]- التوبة من الآية: 106
[100]- آل عمران من الآية: 195
[101]- لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم ص: 47 ، 48

الفصل الثاني :

أهم القضايا والأفكار التي عالجها وقدمها في هذاالكتاب

من المعلوم أن القضايا و الأفكار التي عالجها شكيب أرسلان في كتابه "لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم" هي تخلف المسلمين من جهة الدين و الدنيا و أسباب تأخرهم في كل مجال من مجالات الحياة.

ومن ميزات شكيب أرسلان أنه يعالج القضايا و المشكلات في ضوء القرآن و السنة. و يأتي بحلولها بطريق حسن. سنلاحظ هذا فيما يأتي من السطور إن شاء الله.

كما مرت في الفصل الأول خلفية كتاب "لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم" تحدث فيه شكيب أرسلان عن آراءه و أفكاره بصدد تخلف المسلمين و تقدم الآخرين

هنا في هذا الفصل أهتم بذكر أهم أسباب تأخر المسلمين التي عبر عنها شكيب في هذا الكتاب

شكيب يرى من أهم أسباب تأخر المسلمين الجهل و عدم التمييز بين الخمر و الخل ، العلم الناقص. كما يقول بالتفصيل

"من أعظم أسباب تأخر المسلمين الجهل، الذي يجعل فيهم من لا يميز بين الخمر والخل، فيتقبل السفسطة قضية مسلمة، ولا يعرف أن يرد عليها.

ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين العلم الناقص، الذي هو أشد خطرًا من الجهل البسيط؛ لأن الجاهل إذا قيضلله له مرشدًا عالمًا أطاعه ولم يتفلسف عليه، فأما صحاب العلم الناقص فهو لا يدري ولا يقتنع بأنه لا يدري، وكما قيل : ابتلاؤكم بمجنون خير من ابتلائكم بنصف مجنون، أقول :ابتلاؤكم بجاهل خير من ابتلائكم بشبه عالم.

ومن أعظم أسباب تأخر المسلمين فساد الأخلاق؛ بفقد الفضائل التي حث عليها القرآن، والعزائم التي حمل عليها سلف هذه الأمة وبها أدركوا ما أدركوه من الفلاح، والأخلاق في تكوين الأمم فوق المعارف، ولله در شوقي إذ قال:

و إنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ومن أكبر عوامل تقهقر المسلمين فساد أخلاق أمرائهم بنوع خاص، وظن هؤلاء— إلا من رحم ربك — أن الأمة خلقت لهم أن يفعلوا بها ما يشاءون، وقد رسخ فيهم هذا الفكر حتى إذا حاول محاول أن يقيمهم على الجادَّة بطشوا به؛ عبرة لغيره.

وجاء العلماء المتزلفون لأولئك الأمراء، المتقلبون في نعمائهم، الضاربون بالملاعق في حلوائهم، وأفتوا لهم بجواز قتل ذلك الناصح بحجة أنه شق عصا الطاعة، وخرج عن الجماعة. "[102]

أما الجبن و الهلع هما عاملان عظيمان لتقهقر المسلمين في نظر شكيب أرسلان لأن المسلمين كانوا أشهر الأمم في الشجاعة و احتقار الموت ، و كان واحدهم يقوم للعشرة و في بعض الأحايين للمائة كما يقول :

"ومن أعظم عوامل تقهقر المسلمين الجبن والهلع، بعد أن كانوا أشهر الأمم في الشجاعة واحتقار الموت، يقوم واحدهم للعشرة وربما للمئة من غيرهم، فالآن أصبحوا —إلا بعض قبائل منهم — يهابون الموت الذي لا يجتمع خوفه مع الإسلام في قلب واحد، ومن الغريب أن الإفرنج المعتدين لا يهابون الموت في اعتدائهم، هيبة المسلمين إياه في دفاعهم، وأن المسلمين يرون الغايات البعيدة التي

[102]- لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم ص: 75،76

يبلغها الإفرنج في استحقار الحياة والتهافت على الهلكة في سبيل قوميتهم ووطنهم، ولا تأخذهم من ذلك الغيرة، ولا يقولون :نحن أولى من هؤلاء باستحقار الحياة؛ وقد قال الله تعالى :(وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ)[103].

وقد انضم إلى الجبن والهلع اللذين أصابا المسلمين اليأس والقنوط من رحمة الله، فمنهم فئات قد وقر في أنفسهم أن الإفرنج هم الأعلون على كل حال 3 وأنه لا سبيل لمغالبتهم بوجه من الوجوه، وأن كل مقاومة عبث، وأن كل مناهضة خرق في الرأي، ولم يزل هذا التهيب يزداد ويتخمر في صدور المسلمين أمام الأوروبيين إلى أن صار هؤلاء ينصرون بالرعب، وصار الأقل منهم يقومون للأكثر من المسلمين، وهذا بعكس ما كان في العصر الأول:

يرى الجبناء أن الجبن حزم

و تلك خديعة الطبع اللئيم." [104]

ينبغي للمسلمين أن يتعلموا من اليابانيين الذين تعلموا كثيرا من الأشياء من الأوربيين متمسكين بأوضاعهم و ديانتهم و حتى تفوقوا في بعض المجالات كما يتضح ذلك من المقتبس الآتي :

" أن العلم الحديث أيضًا يتوقف على الفكرة والعزيمة، ومتى وُجِدَتْ هاتان وُجِدَ العلمُ الحديث ووجدت الصناعة الحديثة، أفلا ترى أن اليابان إلى حد سنة ١٨٦٨ كانوا أمة كسائر الأمم الشرقية الباقية على حالتها القديمة، فلما أرادوا اللحاق بالأمم العزيزة تعلموا علوم الأوروبيين، وصنعوا صناعاتهم، واتسق لهم ذلك في خمسين سنة، وكل أمة من أمم الإسلام تريد أن تنهضوتلحق بالأمم

---

[103]- النساء من الآية : 104

[104] - لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم ص: 77

العزيزة يمكنها ذلك وتبقى مسلمة ومتمسكة بدينها، كما أن اليابانيين تعلموا علوم الأوروبيين كلها وضارعوهم ولم يقصروا في شيء عنهم ولبثوا يابانيين ولبثوا متمسكين بدينهم وأوضاعهم، وأيضًا فمتى أرادت أمة مسلمة أدوات أو أسلحة حديثة ولم تجدها؟ إن ملاك الأمر هو الإرادة؛ فمتى وجدت الإرادة وجد الشيء المراد. "[105]

أسباب ارتقاء المسلمين الماضي

هنا يناقش شكيب أرسلان و يكشف عن سر ارتقاء المسلمين في الماضي. ما الذي جعل المسلمين أصحاب الارتقاء في ذلك الزمن و يتمتعون بالتطور و التقدم. ينبغي أن نرى ذلك في ضوء كتاب المؤلف ماذا يكتب:

"إن أسباب الارتقاء كانت عائدة في مجملها إلى الديانة الإسلامية التي كانت قد ظهرت جديدًا في الجزيرة العربية فدان بها قبائل العرب، وتحولوا بهدايتها من الفرقة إلى الوحدة، ومن الجاهلية إلى المدنية، ومن القسوة إلى الرحمة، ومن عبادة الأصنام إلى عبادة الواحد الأحد، وتبدلوا بأرواحهم الأولى أرواحًا جديدة، صيرتهم إلى ما صاروا إليه من عز ومنعة، ومجد وعرفان وثروة، وفتحوا نصف كرة الأرض في نصف قرن، ولولا الخلاف الذي عاد فدب بينهم منذ أواخر خلافة عثمان وفي خلافة علي — رضيلله عنهما — لكانوا أكملوا فتح العالم، ولم يقف في وجههم واقف.

على أن تلك الفتوحات التي فتحوها في نصف قرن أو ثلثي قرن — برغم الحروب التي تسببت بها مشاقَّةُ معاية لعلي والحروب التي وقعت بين بني أمية وابن الزبير — قد أدهشت عقول العقلاء والمؤرخين والمفكرين، وحيرت

[105]- المرجع السابق ص: 79

الفاتحين الكبار، وأذهلت نابليون بونابرت أعظمهم، وله تصريح في ذلك نقله عنه (لاكاس) الذي رافقه إلى جزيرة (سانت هيلانة) وغيره من المقيدين لحوادث نابليون المتبعين لأقواله؛ فقد ثبت ثبوتًا قطعيًا من أقوال ذلك الفاتح العظيم وسيرته أيام كان بمصر أنه كان معجبًا بمحمد وعمر وبكثير من أبطال الإسلام، وإن نفسه حدثته لما كان بمصرأن يتخذ الإسلام دينًا له."[106]

دور القرآن في حماسة المسلمين

إن القرآن الكريم لعب دورا هاما في حياة المسلمين. تعلم منه المسلمون كل شئ يلزم حياتهم اليومية. كما يقول القرآن بلسانه: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)[107]

" فالقرآن قد أنشأ — إذًا — العرب نشأة مستأنفة، وخلقهم خلقًا جديدًا، وأخرجهم من جزيرتهم والسيف في إحدى اليدين والكتاب في الأخرى يفتحون ويسودون، ويتمكنون في الأرض بطولها وعرضها. "[108]

لاشك أن هؤلاء هم العرب الذين كانوا معروفين بديانتهم و ذكاءهم و أخلاقهم العظام في الجاهلية ، و لكن لا يمكن لأحد أن ينكر التغيرات الإيجابية التي جاء بها الإسلام في حياتهم. هذا هو ما جعلهم ممتا زين في كل مجال من مجالات الحياة.

" ولا عبرة بما يقال في شأن العرب قبل الإسلام، وما يروى من فتوحات لهم ومدنيات أثيلة، وما ينوّه به من أخلاق عظام في الجاهلية، فهذه ولا جدال قد كانت ولا تزال آثارها ظاهرة، ولا شك في مدنية العرب القديمة، وأنها من أقدم

---

[106]- المرجع السابق ص: 41
[107]- سورة بني إسرائيل الآية : 9
[108]- لماذا تأخر المسلون و لماذا تقدم غيرهم ص: 41

مدنيات العالم على الإطلاق، ومما يرجح أن الكتابة قد بدأت عندهم، وأنه لو فرض أن الفينيقيين الذين اخترعوا الكتابة في العالم، فالفينيقيون في الحقيقة أمة سامية عربية، ولكن دائرة تلك المدنية كانت محدودة مقصورة على الجزيرة وما جاورها، وقد أتى على العرب حين من الدهر سادهم الغرباء في أرضهم، وأذلهم الأجانب في عقر دارهم، كالفرسفي اليمن وعمان والحيرة، وكالحبشة في اليمن، وكالروم في أطرافالحجاز ومشارفالشام، والحقيقة أنهم لم يستقلوا استقلالًا حقيقيّا واسعًا إلا بالإسلام، ولم تعرفهم الأمم البعيدة وتخنع لهم الممالك العظام والقياصرة والأكاسرة، وتتحدث بصولتهم الناس، ولم يقعدوا من التاريخ المقعد الذي أحلهم في الصف الأول من الأمم الفاتحة، إلا بمحمدصلى الله عليه وسلم. "[109]

السبب الذي قد تأخر بتركه المسلمون

"فالسبب الذي به نهضوا وفتحوا، وسادوا وشادوا، وبلغوا هذه المبالغ كلها من المجد والرقي، يجب علينا أن نبحث عنه وننشده، ونخفي المسألة ونمعن في النشدان :أهو باقٍ في العرب وهم قد تأخروا برغم وجوده، وتأخر معهم تلاميذهم الذين هم سائر المسلمين، أم قد ارتفع هذا السبب من بينهم، ولم يبقَ من الإيمان إلا اسمه، ومن الإسلام إلا رسمه، ومن القرآن إلا الترنم به، دون العمل بأوامره ونواهيه، إلى غير ذلك مما كان في صدر الملة، وعنجهية الشريعة."[110]

الجامدون و الجاحدون في نظر شكيب أرسلان بصدد ضياع الإسلام

هنا يتحدث شكيب أرسلان دور الجامدين و الجاحدين بصدد نقصان الإسلام و اعتبر كلا الشيئين ضارا للإسلام :

[109]- المرجع السابق ص: 42
[110]- المرجع السابق ص: 42

" ومن أكبر عوامل انحطاط المسلمين الجمود على القديم، فكما أن آفة الإسلام هي الفئة التي تريد أن تلغي كل شيء قديم، بدون نظر فيما هو ضار منه أو نافع، كذلك آفة الإسلام هي الفئة الجامدة التي لا تريد أن تغير شيئًا، ولا ترضى بإدخال أقل تعديل على أصول التعليم الإسلامي؛ ظنًّا منهم بأن الاقتداء بالكفار كفر، وأن نظام التعليم الحديث من وضع الكفار.

فقد أضاع الإسلام جاحد وجامد

أما الجاحد فهو الذي يأبى إلا أن يفرنج المسلمين وسائر الشرقيين ويخرجهم عن جميع مقوماتهم ومشخصاتهم، ويحملهم على إنكار ماضيهم، ويجعلهم أشبه بالجزء الكيماوي الذي يدخل في تركيب جسم آخر كان بعيدًا فيذوب فيه ويفقد هويته، وهذا الميل في النفس إلى إنكار الإنسان لماضيه واعترافه بأن آباءه كانوا سافلين، وأنه هو يريد أن يبرأ منهم لا يصدر إلا عن الفسل الخسيس، الوضيع النفس، أو عن الذي يشعر أنه في وسط قومه دنيء الأصل، فيسعى هو في إنكار أصل أمته بأسرها؛ لأنه يعلم نفسه منها بمكان خسيس ليس له نصيب من تلك الأصالة، وهو مخالف لسنن الكون الطبيعية التي جعلت في كل أمة ميلًا طبيعيًّا للاحتفاظ بمقوماتها ومشخصاتها؛ من لغة وعقيدة وعادة وطعام وشراب وسكنى وغير ذلك إلا ما ثبت ضرره. [111]

محافظة الشعوب الإفرنجية على قوميتها

من الشيء العجيب أن العالم يحاكي أوربا و أميركا في هذا الزمان و لا يبالي ما كان قد وجد في إرثه من الآباء و الأجداد ، بينما الإنكليز يريدون أن

[111]- المرجع السابق ص: 88

يبقوا إنكليزا ، والافرنسيس يريدون أن يبقوا افرنسيسا ، و الألمان لا يريدون أن يكونوا إلا ألمانا :

" فلننظر إلى أوروبة — لأنها هي اليوم المثل الأعلى في ذلك — فنجد كل أمة فيها تأبى أن تندمج في أمة أخرى، فالإنكليز يريدون أن يبقوا إنكليزًا، والإفرنسيس يريدون أن يبقوا إفرنسيسًا، والألمان لا يريدون أن يكونوا إلا ألمانًا، والطليان لا يرضون أن يكونوا إلا طليانًا، والروس قصارى همهم أن يكونوا روسًا، وهلم جرّا.

ومما يزيد هذا المثال تأثيرًا في النفس أن الأيرلنديين مثلًا أمة صغيرة مجاورة للإنكليز، وقد بذل هؤلاء جميع ما يتصوره العقل من الجهود ليدمجوهم في سواهم مدة تزيد عن سبع مئة سنة، فأبوا أن يصيروا إنكليزًا ولبثوا أيرلنديين بلسانهم وعقيدتهم وأذواقهم وعاداتهم.

إلا أن تحافظ على أصلها، وفي جنوبي فرنسة (البريتون) وفي فرنسة نفسها تأبى أمة احتفظوا بقوميتهم تجاه القوط، ثم تجاه العرب، ثم تجاه (الباشكنس) جيل يقال لهم الإسبان، ثم تجاه الفرنسيس، وجميعهم مليون نسمة، وهم لا يزالون على لغتهم وزيهم وعاداتهم وجميع أوضاعهم."[112]

لماذا لا نسمي اليابان وأوروبا رجعية بتدينهما

حينما يترقى الإنسان و يتطور يكون عيبه فنا للزمان. باب كل شيء مفتوح له ، لا يمنع من أي شيء بل يحاكيه الناس في كل مجال من مجالات الحياة ، فيكون قدوة للناس من القاصي والداني .

[112]- المرجع السابق ص: 88، 89

في هذا الزمن حينما يكون المسلم متدينا و مواظبا على يأمر به الإسلام فيعتقد الآخرون أنه من المتأخرين لا يعرف شيئا سوى الأشياء القديمة ، بل يعتنق الرجعية دائما و لكن الأمر عكس ذلك في اليابان و أوربا :

"فلماذا، يا ليت شعري، تتقدم اليابان هذا التقدم السريع المدهش وتصير هذه الأمة أمة عصرية يضرب برقيها المثل وهي تضرب بأعراقها إلى عقائد وعادات ومنازع مضى عليها ألفا سنة، ويكون إمبراطورها هو كاهنها الأعظم، ولا يقال عنها : (رجعية) و (مرتجعة) و (ارتجاعية) ومتأخرة ومتقهقرة (فإن كانت اليابان رجعية فمرحى بالرجعية). "[113]

"ولماذا كانت القارة الأوروبية كلها مسيحية مفتخرة بمسيحيتها، تتباهى بذلك في كل فرصة، متحدة في هذا الأمر على ما بينها من عداوات ومنافسات، ولا ننبذها حتى بقولنا: رجعية و ارتجاعية ، والحال أن الديانة التي تدين بها أوروبة عمرها ١٩ قرنًا."[114]

" ولماذا نرى أعظم شبان اليهود رقيًّا عصريًّا يجاهدون في إحياء اللغة العبرية التي لا يعرف مبدأ تاريخها؛ لتوغلها في القدم، ولا يقال عنهم :إنهم رجعيون ومتأخرون وقهقريون؟! "[115]

[113]- المرجع السابق ص: 95
[114]- المرجع السابق ص: 96،97
[115]- المرجع السابق ص: 98

الفصل الثالث :

عنصر الاتجاه الإسلامي في الكتاب

في هذا الفصل سأتحدث أنا عن عنصر الاتجاه الإسلامي في كتاب " لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم "

كما تعلمنا نحن في الصفحات الماضية أن شكيب أرسلان لا يتكلم إلا بالقرآن و السنة و الدلائل العقلية في بعض الأحايين ، و هي أيضا في ضوء القرآن و السنة . و هذا الفصل يتعلق بذاك المجال . فإليكم بعض النماذج :

شكيب أرسلان يتحدث عن المسلم الجديد و يقول هل هو الذي فتح باب النقاش لأعداء الإسلام ، أ هو الذي خلق لهم السبيل إلى تناول بعض الأقاويل المسيئة إلى روح الإسلام و المسلمين ، حتى قالوا إنه دين لا يأتلف مع الرقي العصري و إنه دين حائل دون المدنية .

" ونعود إلى المسلم الجديد فنقول :إنه هو الذي طرّق لأعداء الإسلام على الإسلام، وأوجد لهم السبيل إلى القالة بحقه؛ حتى قالوا :إنه دين لا يأتلف مع الرقي العصري، وإنه دين حائل دون المدنية.

والحقيقة أن هؤلاء الجامدين هم الذين لا تأتلف عقائدهم مع المدنية، وهم الذين يحولون دون الرقي العصري، والإسلام براء من جماداتهم هذه.

إن الإسلام هو من أصله ثورة على القديم الفاسد، وحبٌّ للماضي القبيح، وقطع كل العلائق مع غير الحقائق، فكيف يكون الإسلام ملة الجمود؟ والقرآن هو الذي جاء فيه من قصة إبراهيم عليه السلام :(إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ

الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ).[116]

وجاء فيه :(قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ)[117] .

وجاء فيه :(إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ * قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ). [118]

وجاء فيه: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا نَزَّلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ). [119]

وجاء فيه :(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لله الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰصِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ). [120]

وغير ذلك من الآيات الداعية إلى الثورة على القديم إذا لم يكن صحيحًا ولم يكن صالحًا. [121]

مدنية الإسلام

من هنا أتحدث عن مدنية الإسلام التي ذكرها شكيب أرسلان و قام بتثبيتها بالتاريخ و حاول تنبيه الأمة بماضيها المشرق البراق فيقول:

---

[116]- الأنبياء الآيات: من 52 إلى 54
[117]- الشعراء الآيات: من 71 إلى 77
[118]- الزخرف من الآيتين: 23 و 24
[119]- البقرة ، الآية : 170
[120]- البقرة، الآية : 142
[121] - لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم ص: 114 و 115

" وأي عظمة أعظم مما كان الإسلام في أيام عمر بن الخطاب مثلًا. ومدنية الإسلام قضية لا تقبل المماحكة؛ إذ ليس من أمة في أوروبة سواء الألمان أو الفرنسيس أو الإنكليز أو الطليان ... إلخ، إلا وعندهم تآليف لا تحصى في (مدنية الإسلام) فلو لم تكن للإسلام مدنية حقيقية سامية راقية مطبوعة بطابعه، مبنية على كتابه وسنته، ما كان علماء أوروبة حتى الذين عرفوا منهم بالتحامل على الإسلام يكثرون من ذكر المدنية الإسلامية، ومن سرد تواريخها، ومن المقابلة بينها وبين غيرها من المدنيات، ومن تبيين الخصائص التي انفردت بها".[122]

ومضى يقول:

" فالمدنية الإسلامية هي من المدنيات الشهيرة التي يزدان بها التاريخ العام، والتي تغص سجلاته الخالدة بمآثرها الباهرة.

وقد بلغت بغداد في دور المنصور والرشيد والمأمون من احتفال العمارة، واستبحار الحضارة، وتناهي الترف والثروة، ما لم تبلغه مدينة قبلها ولا بعدها إلى هذا العصر، حتى كان أهلها يبلغون مليونين ونصف مليون من السكان، وكانت البصرة في الدرجة الثانية عنها، وكان أهلها نحو نصف مليون.

وكانت دمشق والقاهرة وحلب وسمرقند وأصفهان وحواضرأخرى كثيرة من بلاد الإسلام أمثلة تامة وأقيسة بعيدة في استبحار العمران، وتطاول البنيان ورفاهة السكان، وانتشار العلم والعرفان، وتأثل الفنون المتهدلة الأفنان. "[123]

---

[122]- المرجع السابق ص : 120

[123]- المرجع السابق ص : 121

و يذكر شكيب أرسلان غرناطة و إنها كانت منتهى العلم و الفن و كانت عاصمة يفتخر بها المسلمون و غيرهم، فوق ذلك غرناطة لم تزل و لا تزال يتيمة الدهر :

" وحسبك أن غرناطة التي كانت حاضرة؛ كانت مملكة صغيرة في آخر أمر المسلمين بالأندلس، لم يكن في أوروبة في القرن الخامس عشر المسيحي بلدة تضاهيها ولا تدانيها، وكان فيها عندما سقطت في أيدي الإسبانيول نصف مليون نسمة، ولم تكن وقتئذ عاصمة من عواصم أوروبة تحتوي نصف هذا العدد، وحمراء غرناطة لا تزال يتيمة الدهر إلى اليوم. "[124]

و بالإضافة إلى :

" وبعد؛ فلم نعلم مدنية واحدة من مدنيات الأرض إلا وهي رشح مدنيات سابقة، وآثار آراء اشتركت بها سلائل البشرية، ومجموع نتائج عقول مختلفة الأصول، ومحصول ثمرات ألباب متباينة الأجناس. "[125]

كما رأينا أن المؤلف كان يتحدث عن المآثر الإسلامية و العظمة الماضية في أسبانيا وينعى على الأحوال الراهنة ، بالجملة إنه حاول تصوير الماضي و الحال بأحسن طريق.

حث القرآن على العلم (باعث للمسلمين على سبق الأمم في الرقي)

لا شك أن القرآن يهدي للتي هي أقوم ، و هو خير هدي للإسلام و المسلمين إلى يوم القيامة ، و يكون الناس في الفوز و الفلاح ما داموا متمسكين

[124]- المرجع السابق ص: 121
[125]- المرجع السابق ص: 122

بالقرآن و السنة. و البعد عنهما سيزيدهم خسارة و هلاكا و دمارا. فلا بد لهم أن يتمسكوا بهما حتى أتاهم اليقين.

"العالم الإسلامي يمكنه النهوض والرقي واللحاق بالأمم العزيزية الغالبة إذا أراد ذلك المسلمون ووطنوا أنفسهم عليه، ولا يزيدهم الإسلام إلا بصيرة فيه وعزمًا، ولن يجدوا لأنفسهم حافزًا على العلم والفن خيرًا من القرآن الذي فيه :

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ). [126]

والذي فيه :

(زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ). [127]

والذي فيه :

(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)[128].

والذي فيه :

(شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ)[129]

والذي فيه :

(بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ)[130]

والذي فيه :

(يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)[131] .

---

[126]- الرمز الآية: 9
[127]- البقرة من الآية : 247
[128]- آل عمران ، من الآية: 7
[129]- آل عمران ، من الآية: 18
[130]- العنكبوت ، من الآية: 49

والذي فيه:

(وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)[132].

وفيه : (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا)[133] .

وفيه : (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا)[134] .

وغير ذلك من الآيات الكريمة، وفيه ما هو خاصبالأمة العربية :(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ). [135] "[136]

المراد بالعلم

معظم الناس يظنون أن المراد بالعلم في الإسلام هو العلم الذي يتعلق بالدين و الإسلام. بينما هو خطأ خاطئ ، فلا بد أن يعرف به الناس حق المعرفة كما دافع شكيب أرسلان عن مثل هذا المغالطة حينما كتب سيكار طاعنا على الإسلام في مجلة مراكش الكاثوليكية . إليكم ذاك الاقتباس :

"وقد زعم بعضهم — ومن جملتهم سيكار هذا الذي بالمغرب قد ألف كتابًا في الطعن على الإسلام، وهو الذي يكتب في مجلة - مراكش الكاثوليكية- أن المراد بلفظة – العلم - في القرآن هو العلم الديني، ولم يكن المقصود به العلم مطلقًا لنستظهر به على قضية تعظيم القرآن للعلم وإيجابه للتعليم.

---

[131]- المجادلة ، من الآية: 11
[132]- البقرة، من الآية : 129
[133]- البقرة، من الآية: 269
[134]- النساء ، من الآية: 53
[135]- الجمعة ، الآية : 2
[136]- لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم ص: 133،134،135

وقد أتى سيكار من المغالطة في هذا الباب ما لا يستحق أن يرد عليه؛ لما فيه من المكابرة في المحسوس، وكل من تأمل مواقع هذه الآيات المتعلقة بالعلم وبالحكمة وغيرها مما يحث على السير في الأرض والنظر والتفكير يعلم أن المراد هنا بالعلم هو العلم على إطلاقه متناولًا كل شيء، وأن المراد بالحكمة هي الحكمة العليا المعروفة عند الناس ، وهي غير الآيات المنزلة والكتاب كما يدل عليه العطف، وهو يقتضي المغايرة، ويعزز ذلك الحديث النبوي الشهير " اطلبوا العلم ولو في الصين"[137]

"فلو كان المراد بالعلم هو العلم الديني — كما زعم سيكار — ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحث على طلبه ولو في الصين؛ إذ أهل الصين وثنيون؛ لا يجعلهم النبي مرجعًا للعلم الديني كما لا يخفى.

وفي بعض الآيات من القرائن اللفظية والمعنوية ما يقتضي أن المراد بالعلم علم الكون؛ لأنه في سياق آيات الخلق والتكوين، وهي في القرآن أضعاف الآيات في العبادات العملية؛ كالصلاة والصيام؛ كقوله تعالى :(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ* وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)[138] . أي العلماء بما ذكر في الآية من الماء والنبات والجبال وسائر المواليد المختلفة الألوان وما فيها من أسرار الخلق، لا العلماء بالصلاة والصيام والقيام."[139]

---

[137] - المرجع السابق ص: 136

[138]- فاطر آيتان : 27 و 28

[139] - لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم ص : 136

كلمة لطلاب النهضة القومية دون الدينية

في السطور الآتية نرى ماذا يجيب شكيب أرسلان عن السؤال الذي ينشأ في أذهان طلاب النهضة القومية دون الدينية الذين يحبون و يمدحون أوربا و تقدمها. إنما هم لايعرفون كيف تعتنق و تمسك أوربا و الدول المتطورة بديانتها . فلنشف كيف يجيب أرسلان عن ذلك:

"يقول بعض الناس ما لنا وللرجوع إلى القرآن في ابتعاث همم المسلمين إلى التعليم! فإن النهضة لا ينبغي أن تكون دينية، بل وطنية قومية كما هي نهضة أهل أوروبة؟! ونجيبهم :أن المقصود هو النهضة؛ سواء كانت وطنية أم دينية على شرط أن تتوطن بها النفوس على الخب في حلبة العلم، ولكننا نخشى إن جردناها من دعوة القرآن أن تفضي بنا إلى الإلحاد والإباحة وعبادة الأبدان واتباع الشهوات، مما ضرره يفوت نفعه، فلا بد لنا من تربية علمية سائرة جنبًا إلى جنب مع تربية دينية، وهل يظن الناس عندنا في الشرق أن نهضة من نهضات أوروبا جرت دون تربية دينية؟ !وهل جرت نهضة اليابان دون تربية دينية؟!

أفلم يقل رئيس نظار ألمانيا في الرايستاغ منذ ثلاث سنوات :إن ثقافتنا مبنية على الدين المسيحي؟ وهذه هو إعلان ألمانيا التي هي المثل الأعلى في العلم والصناعة وإتقان الآلات والأدوات، لا ينازع في ذلك أحد، ولا أعداؤها.

أفتوجد جامعة في ألمانيا أو إنكلترا أو غيرهما من هذه الممالك الراقية من دون أن يكون فيها علم اللاهوت المسيحي؟ !ثم إنهم عندما يقولون :في أوروبا (نهضة وطنية) أو (نهضة قومية) أو جامعة وطنية أو قومية، لا يكون مرادهم بالوطن :التراب والماء والشجر والحجر، ولا بالقوم: السلالة التي تنحدر كلها من دم واحد، وإنما الوطن والقوم عندهم لفظتها تدلان على وطن وأمه بما فيهما من

جغرافية وتاريخ وثقافة وحرث وعقيدة ودين وخلق وعادة؛ مجموعًا ذلك معًا، وهذا الذي يناضلون عنه، ويستبسلون كل هذا الاستبسال من أجله. "[140]

أسباب انحطاط المسلمين في العصرالأخير

كما ذكرت أسباب انحطاط المسلمين في الصفحات الماضية هنا سأذكر أعظم أسباب انحطاطهم خاصة في العصر الأخير. و يتحدث المؤلف عن علاج تلك الأسباب :

"من أعظم أسباب انحطاط المسلمين في العصر الأخير فقدهم كل ثقة بأنفسهم ، وهو من أشد الأمراض الاجتماعية، وأخبث الآفات الروحية، لا يتسلط هذا الداء على إنسان إلا أودى به، ولا على أمه إلا ساقها إلى الفناء وكيف يرجو الشفاءَ عليلٌ يعتقد بحق أو بباطل أن علته قاتلته؟ !وقد أجمع الأطباء في الأمراضالبدنية أن القوة المعنوية هي رأس الأدوية، وأن أعظم عوامل الشفاء إرادة الشفاء، فكيف يصلح المجتمع الإسلامي ومعظم أهله يعتقدون أنهم لا يصلحون لشيء، ولا يمكن أن يصلح على أيديهم شيء، وأنهم إن اجتهدوا أو قعدوا فهم لا يقدرون أن يضارعوا الأوروبيين في شيء؟! "[141]

"وأما الصعوبات الطبيعية التي كانوا يقدرونها فلم يصح منها شيء، وأما الأعراب فلم يقع منهم على الخط أدنى اعتداء، وكان عند كل محطة من محاط الخط قلعة فيها جند للمحافظة، وكل تلك المحطات والقلاع كانت مبنية أمتن بناء، ولما كان لا يتاح لغير المسلمين دخول أرض الحجاز فكان إنشاء الخط؛ أي القسم

[140]- لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم ، ص: 138 و 139
[141]- المرجع السابق ص: 141

الداخل منه في الحجاز كله على أيدي مهندسين مسلمين، حتى إن مايستر باشا الألماني نفسه لم يتجاوز في إشرافه بلدة تبوك.

ولما ذهبت إلى المدينة المنورة زائرًا للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك سنة ١٣٣٠ ه، كنت أسمع أن عدم مد الخط الحديدي من المدينة إلى مكة نشأ عن اعتراض قبائل العرب من حرب وغيرها، وأنهم لا يسمحون بمرور الخط في أراضيهم، ففحصت هذه القضية فوجدت أكثرها هراءً وافتراءً، وسألت شيوخ القبائل عما يقال من معارضتهم في إنشاء السكة؛ فقالوا :لو كنا معارضين لإنشائها لعارضنا ذلك من أول دخولها في أرض الحجاز، والحال أننا كنا مساعدين للحكومة على هذا المشروع بكل قوانا، فسألتهم التوقيع على عريضة للدولة يطلبون فيها تمديد هذا الخط من المدينة إلى مكة فوقَّع عليها جم من أولئك المشايخ، ولم تكن الدولة عهدت إليَّ بهذه المهمة، وإنما قمت بها خدمة للوطن وللملة"[142].

علاج ذاك المذكور

" وكيف يمكنهم أن يناهضوا الأوروبيين في معترك وهم موقنون أن الطائلة الأخيرة ستكون للأوروبيين لا محالة؟ !فصال مثلهم مع هؤلاء مثل أولئك الأقران الذين كان يبطش بهم سيدنا علي — رضيلله عنه — في وقائعه؛ فقد حدثوا أنه سمعت له في صفين أربع مئة تكبيرة، وكان من عادته — كرَّم لله وجهه —أنه يكبِّر كلماصرع قرنًا، فقيل له في ذلك؛ فأجاب :كنت إذا حملت على الفارس ظننت أني قاتله؛ فكنت أنا ونفسه عليه.

[142]- المرجع السابق ص: 146، 147

وهكذا أصبح المسلمون في الأعصر الأخيرة يعتقدون أنه ما من صراع بين المسلم والأوروبي إلا سينتهي بمصرع المسلم ولو طال كفاحه، وقر ذلك في نفوسهم، وتخمَّر في رءوسهم، لا سيما هذه الطبقة التي تزعم أنها الطبقة المفكرة العاقلة المولعة بالحقائق، الصادفة عن الخيالات — بزعمها — فإنها صارت تقرر هذه القاعدة المشئومة في كل نادٍ، وتجعل التشاؤم المستمر والنعاب الدائم من دلائل العقل وسعة الإدراك، وتحسب اليأس من صلاح حال المسلمين من مقتضيات العلم والحكمة، وما زالت تنفخ في بوق التثبيط، وتبث في سواد الأمة دعاية العجز؛ إلى أن صار الاستخذاء ديدن الجميع إلا من رحم بك، وكانت روحه من أصل فطرتها قوية عزيزة. "[143]

[143]- المرجع السابق ص 141 و 142

خاتمة البحث:

أشكر الله عز و جل إنه قد أوصلني إلى نهاية الأطروحة، و يسر لي كل ما احتجت إليه من المواد في سبيل إعداد هذه الرسالة لماقبل الدكتوراه ، تحت إشراف الدكتور "رضوان الرحمان" حفظه الله تعالى و رعاه . لاشك أن له يدا طولى لإعداد البحث. لايمكن لي أن أنسى فضله طول الحياة في هذا الصدد.

عنوان البحث يشير إلى ما في هذه الرسالة من المواد حسب العنوان "الاتجاه الإسلامي في كتابات شكيب أرسلان مع التركيز الخاص على كتابه لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم"

قد بذلت قصارى جهدي في تحسين هذه الأطروحة بين أيديكم مادة و لغة. و حاولت كل المحاولة لإيضاح و إبداء فكرة المؤلف نحو تأخر المسلمين و تخلفهم علما و ثقافة ، اجتماعيا و حضاريا في ضوء كتابه. كما يعالج البحث أسباب تأخر المسلمين و تقدم الآخرين.

و أنا اعتقد في نهاية هذا البحث أن المؤلف قد عالج أسباب تأخر المسلمين و قدم علاجها معا في ضوء القرآن والسنة و جاء بأمثالها. هذا هو من أهم ميزات شكيب أرسلان أنه يثبت ما يقول بالأدلة و البراهين .

فأرى من المناسب أن قدم خلاصة الجواب التي كتبها المؤلف في نهاية الكتاب بصدد أسباب تأخر المسلمين و تقدم الآخرين ليستفيد منها العوام و الخواص.

إليكم خلاصة الجواب التي هي مغز الكتاب و الأطروحة كذلك:

خلاصة الجواب

(أن المسلمين ينهضون بمثل ما نهض غيرهم)

إن الواجب على المسلمين — لينهضوا ويتقدموا ويتعرجوا في مصاعد المجد، ويترقوا كما ترقى غيرهم من الأمم — هو الجهاد بالمال والنفس الذي أمر به الله في قرآنه مرارًا عديدة، وهو ما يسمونه اليوم بالتضحية.

فلن يتم للمسلمين ولا لأمة من الأمم نجاح ولا رقي إلا بالتضحية، وربما كان الشيخ محمد بسيوني عمران أو غيره من السائلين عن رأينا في هذا الموضوع قد ظن أني سأجيبه أن مفتاح الرقي هو قراءة نظريات (أينشتين) في النسبية مثلًا، أو درس أشعة (رونتجين)، أو ميكروبات (باستور)، أو التعويل في اللاسلكي على التموجات الصغيرة أكثر من الكبيرة، أو درس اختراعات (أديسون)، وأن سبب حادثة المنطاد الإنكليزي الذي سقط أخيرًا واحترق هو كونه لم ينفخ بالهليوم وإنما بالهيدروجين، والحال في الهيدروجين — وإن كان أخف في الوزن — قابل للاشتعال، وإنه لا خوف من اشتعال الهليوم — وإن كان أثقل شيئًا من الهيدروجين — وما أشبه ذلك.

والحقيقة أن هذه الأمور إنما هي فروع لا أصول، وإنها نتائج لا مقدمات، وإن (التضحية) أو الجهاد بالمال والنفس هو العلم الأعلى الذي يهتف بالعلوم كلها، فإذا تعلمت الأمة هذا العلم وعملت به دانت لها سائر العلوم والمعارف، ودنت منها جميع القطوف والمجاني.

وليس بضروري أن يكون صاحب الحاجة عالمًا بعملها حتى يكون عالمًا بالاحتياج إليها.

قال لي مرة حكيم الشرق السيد جمال الدين الأفغاني:

إن الوالد الشفيق يكون من أجهل الجهلاء، فإذا مرض ابنه اختار له أحذق الأطباء، وعلم أن هناك شيئًا نافعًا هو العلم، لا يعلم هو شيئًا منه، ولكنه يعلم بسائق حرصه على حياة ابنه أنهضروري.

ولم يكن محمد علي عالمًا وربما كان أميّا، ولكنه بعث مصرمن العدم إلى الوجود في زمن قصير، وصيرها في زمانه من الدول العظام بسائق هذا العلم الأعلى الذي هو العقل السليم والإرادة، وهو الذي يبعث صاحبه إلى التفتيش عن العلوم وحمل الأمة عليها.

فالمسلمون يمكنهم إذا أرادوا بعث العزائم وعملوا بما حرضهم عليه كتابهم أن يبلغوا مبالغ الأوروبيين والأمريكيين واليابانيين من العلم والارتقاء، وأن يبقوا على إسلامهم كما بقي أولئك على أديانهم، بل هم أولى بذلك وأحرى، فإن أولئك رجال ونحن رجال، وإنما الذي يعوزنا الأعمال، وإنما الذي يضرنا هو التشاؤم والاستخذاء وانقطاع الآمال، فلننفض غبار اليأس ولنتقدم إلى الأمام، ولنعلم أننا بالغو كل أمنية بالعمل والدأب والإقدام، وتحقيق شروط الإيمان، التي في القرآن : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَّإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)[144]. [145]

بالجملة هذا الكتاب " لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم " الذي قام فيه شكيب أرسلان ببحث الأسباب التي أدت إلى تأخر المسلمين عن غيرهم، بالرغم من أنهم احتلوا قمة الثقافة والعلوم في وقت من الأوقات وكان يتوافد عليهم طلاب العلم من مختلف البلاد لينهلوا من ثقافتهم وعلومهم ويرجعون بها إلى بلادهم لينشروا العلم بها، كما بحث أيضاً الأسباب التي أدت لتقدم الدول الأخرى، وأرجع السبب في تأخر المسلمين إلى الجهل وعدم تطبيق المبادئ الإسلامية والتي تجمع بين كل من العلم والعمل.

---

[144]- العنكبوت من الآية : 69

[145]- لماذا تأخر المسلمون و لماذا تقدم غيرهم / ص:163،164

و أخيرا لا آخرا أدعو الله جل و علا أن يتقبل هذا العمل المتواضع و ينفع منه العوام و الخواص، و يوفقنا جميعا لما فيه الخير و السعادة في الدنيا و الآخرة والله هو الموفق و المستعان، و صلى الله تعالى على خير خلقه محمد و آله و أصحابه أجمعين.

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم
- أحمد الشرباصي شكيب أرسلان : داعية العروبة والإسلام مطبع القاهرة 1963 م.
- أحمد أمين زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، القاهرة ، 1948 م.
- أنور الجندي مصابيح العصر الحديث القاهرة ، 1954 م.
- احمد الشرباصي أدب امير البيان القاهرة ، 1965م.
- أنيس الخوري المقدسي ،الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث كلية العلوم والاداب بجامعة بيروت الأمريكية ، الطبعة الأولى ، بيروت 1952 م.
- تشارلز آدمز ، الإسلام و التجديد في مصر (ترجمة عباس محمود) مطبعة الاعتماد بمصر، سنة 1353 هـ 1935م .
- حبيب أحمد نهضة الشعوب الاسلامية دارالنيل للطباعة : القاهرة 1952
- خير الدين الزركلي، (موسوعة الأعلام) ، دار العلم للملايين، بيروت، طبعة عاشرة، 1992، الجزء الثالث .
- د. سعود الموسى، بنو معروف أهل العروبة والإسلام، (الأمير شكيب أرسلان) دار العودة، بيروت، طبعة أولى، 1990م.

- رشيد رضا ، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، مطبعة المنار بمصر ، الجزء الأول سنة 1931 م .
- رشيد رضا ، تصحيحه لديوان الأمير شكيب أرسلان : تأليف شكيب أرسلان ، مطبعة المنار بمصر ، الطبعة الأولى سنة 1935 م.
- سامي الدهان، (الأمير شكيب أرسلان حياته وآثاره) ، ، دار المعارف بمصر، القاهرة 1960م.
- ساطع الحصري ، "العروبة أولا" ، مطبعة دارالعلم للملايين ببيروت ، الطبعة الأولى سنة 1955 م.
- شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي (أربعة أجزاء) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة ، 1933.
- شكيب أرسلان، تقديمه وتعليقه على "أناتول فرانس في مباذلة" (تأليف جان بروسون) المطبعة العصرية بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، لم تذكر سنة الطبع، و لكنها سنة 1926 م – 1345 هـ .
- شكيب أرسلان ، تاريخ غزوات العرب في فرنسا و سويسرا و إيطاليا وجزائر البحر المتوسط 1933 .
- شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة ، الطبعة الثالثة ، سنة 1939 م.

- شكيب أرسلان، كتاب (الباكورة)، ديوان شعره الأول. طبعت في بيروت سنة 1887.
- شكيب أرسلان ، الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج إلى أقدس مطاف ، الطبعة الأولى في سنة 1350 ، مطبعة المنار بمصر.
- شكيب أرسلان ، تعليقه على تاريخ بن خلدون : تأليف عبدالرحمن بن خلدون ، الجزآن الأول و الثاني ، مطبعة النهضة بالقاهرة ، الطبعة الأولى، السنة 1936م.
- شكيب أرسلان ، ترجمته لتأليف الكونت دي شاتو بريان الفرنسي باسم "رواية آخر بني سراج" ، مطبعة المنار بالقاهرة ، الطبعة الثانية 1625 .
- شكيب أرسلان ، قدم و علق على "روض الشقيق في الجزل الرقيق : شعر نسيب أرسلان ، مطبعة ابن زيدون بدمشق، الطبعة الأولى 1935 م.
- شكيب أرسلان ، شوقي أو صداقة أربعين سنة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه بمصر ، الطبعة الأولى ، سنة 1936 م.
- محمد أحمد درنيقة ، رشيد رضا وإصلاحاته الاجتماعية والدينية بيروت ، 1986م.
- محمد أحمد الغمراوي ، "النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي" ، و بأوله مقدمة طويلة لشكيب أرسلان في 56 صفحة ، المطبعة السلفية بالقاهرة ، الطبعة الأولى سنة 1929 م.
- محمد حبيب أحمد ، "نهضة الشعوب الإسلامية " ، دار النيل للطباعة بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة 1952 م.

- محمد رجب بيومي ، النهضة الاسلامية في سير أعلامها ، دارالقلم : دمشق مطبع بيروت 1999 .
- محمد على طاهر ، ذكرى الأمير شكيب أرسلان، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه بمصر ، الطبعة الأولى 1947 م .
- محمد كرد علي (المعاصرون) ، دار صادر، بيروت، 1991، ص(248- 167).
- وضع محمد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين، مطبعة دائرة المعارف بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة 1924 م.
- يوسف كوكن ، أعلام النثر والشعر في العصرالعربي الحديث مدراس ، 1980.
- يوسف أسعد داغر ، "مصادر الدراسة الأدبية" ، مطابع لبنان ، الطبعة الأولى ، الجزء الثاني ، سنة 1956 م.

محاضرات

- شكيب أرسلان "النهضة العربية في العصر الحاضر" : محاضرة ألقاها شكيب في دار المجمع العلمي العربي بدمشق في أكتوبر سنة 1937 م، و طبعتها مطبعة دار النشر بمصر ، و قد عنيت بطبعها و نشرها إدارة جريدة الجزيرة بدمشق ، و ليس على الكتاب سنة الطبع ، و لكن يظهر أنها سنة 1937 م.

- شكيب أرسلان ، "الوحدة العربية" : محاضرة ألقاها شكيب في النادي العربي بدمشق ، نشر محد ياسين عرفة ، صاحب مكتبة عرفة بدمشق ، الطبعة الأولى سنة 1937 م.

مقالات

- شكيب أرسلان ، "عروة الاتحاد بين أهل الجهاد" مجموعة مقالاته ، جمعت و طبعت على نفقة جريدة "العلم العربي" التي تصدر في بونس ايرس لصاحبها عبداللطيف الخشن ، الطبعة الأولى في آب/أغسطس 1941 م. لم يطبع غير الجزء الأول.
- خالد محمد بامزاحم ، "رجال في القمة : ألب أرسلان" ، تم نشرها في تاريخ 08/07/2014 على الموقع : http://www.alukah.net/
- عبد العال سعد الرشيدي ، "أمير البيان شكيب أرسلان" ، مقالة تم نشرها في تاريخ 11/08/2010 على الموقع : http://www.alukah.net/
- الأستاذ المؤرخ أبوالقاسم سعدالله ، "الأمير شكيب أرسلان و القضية الجزائرية" تم نشرها في تاريخ 07/05/13 على الموقع :

http://www.ahlalhdeeth.com/

الجرائد ، الصحف و المجلات:

- خالد عزب يكتب: عن شكيب أرسلان.. و"لماذا تأخر المسلمون؟ "الأهرام" ، جريدة يومية تصدر بالقاهرة ، في تاريخ 23/04/2015 .
- جورجي زيدان ، "الهلال" مجلة شهرية ، تصدر بالقاهرة ، بدأت الصدور في سبتمبر 1892 م.
- البير أديب ، الأديب : مجلة أدبية تصدر في بيروت في مطلع كل شهر ميلادي ، العدد غير مذكور.
- أحمد عارف الزين ، العرفان: مجلة لبنانية شهرية ، تصدر في بلدة صيدا.
- عادل الغضبان "الكتاب" مجلة شهرية ، كانت تصدر بالقاهرة .
- لويس شيخو اليسوعي ، "المشرق" مجلة كاثوليكية تصدر مرتين في الشهر بإدارة آباء كلية القديس يوسف ، بدأت في الصدور ببيروت ، منذ سنة 1898 م.
- محمد علي الطاهر ، "الشباب" مجلة أسبوعية بالقاهرة من فبرائر سنة 1937 إلى أوائل أبريل سنة 1939 بدلا من جريدته "الشورى" الموقوفة.
- محمد علي الطاهر "الشورى" جريدة أسبوعية كانت تصدر بالقاهرة ، صدر العدد الأول منها في 22 أكتوبر سنة 1924 م. و وقفت عن الصدور بعد عدده أغسطس 1931م.

- محمد كرد علي "المقتبس" مجلة شهرية كانت تصدر في دمشق، و بدأ صدورها سنة 1906 م.
- محب الدين الخطيب، "الفتح" مجلة أسبوعية ، كانت تصدر بالقاهرة .
- المجمع العلمي العربي، مجلة "المجمع العلمي العربي" تصدر بدمشق.
- رشيد رضا، مجلة "المنار" صدرت بمصر عددها غير مذكور.
- مجلة "الضياء" الهندية صدرت من ندوة العلماء ، لكناؤ – الهند.
- يعقوب صروف، "المقتطف" مجلة شهرية ، بالقاهرة ، بدأت الصدور سنة 1876 م، و توقفت عن الصدور في نهاية سنة 1952 م.
- قاسم الرويس، مجلة "مجلة العرب الدولية " ، الثلاثاء 17 يونيو 2014 م ، تأسست في لندن، على الموقع: http://arb.majalla.com/ .

الرسائل

- أحمد حسن الزيات ، الرسالة : مجلة أسبوعية كانت تصدر في القاهرة ، توقفت في نهاية سنتها العشرين ، بعد عدد 29 ديسمبر 1952 م.
- شكيب أرسلان ، رسائله إلى السيد محمد رشيد رضا : مجموعة رسائل مخطوطة بين يدي.
- محمد عبده ، رسائله إلى شكيب أرسلان ، مجموعة رسائل مخطوطة بين يدي.

المواقع الإ لكترونية:

- http://www.saaid.net/wahat/161.htm
- http://www.alukah.net/culture/0/24445/

محتويات البحث

المقدمة	1-5
الباب الأول: نبذة عن حياة شكيب أرسلان	6
الفصل الأول : شكيب أرسلان مولده ودراسته و رحلاته العلمية	7-21
شكيب أرسلان .. أمير البيان والوحدة الإسلامية	21
موقف الأمير شكيب أرسلان من الطائفية	21-23
الفصل الثاني: شكيب أرسلان أخلاقه و صفاته	24-31
محاولات المستعرين للنيل منه	31-32
أعمال و نضال	32-33
أقوال الأعلام في أمير البيان	33-35

الباب الثاني:الاتجاه الإسلامي في كتابات شكيب أرسلان و أسلوبه فيها 36

الفصل الأول :الأسلوب لكتابات شكيب أرسلان 37-41

السجع في كتابات شكيب أرسلان 41-44

الترسل في كتابات شكيب أرسلان 45-46

الجمل القرآنية 46-49

جلجلة العبارة لدى شكيب أرسلان 50-51

المعنى عند شكيب 51- 53

الفصل الثاني:كتابات شكيب أرسلان و مقالاته ضد الاستعمارالأوروبي 54-58

الفصل الثالث:الاتجاه الإسلامي والجوانب التاريخية في كتابات شكيب أرسلان 59

مؤلفات شكيب أرسلان 60-65

الباب الثالث: دراسة تحليلة لكتاب"لماذاتأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم" 66

الفصل الاول: خلفية كتاب " لماذاتأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم " 67-75

الفصل الثاني:أهم القضايا والأفكار التي عالجها وقدمها في هذاالكتاب 76-80

أسباب ارتقاء المسلمين الماضي	80-81
دور القرآن في حماسة المسلمين	81-82
السبب الذي قد تأخر بتركه المسلمون	82
الجامدون و الجاحدون في نظر شكيب أرسلان بصدد ضياع الإسلام	82- 83
فقد أضاع الإسلام جاحد وجامد.	83
محافظة الشعوب الإفرنجية على قوميتها	83-84
لماذا لا نسمي اليابان وأوروبا رجعية بتدينهما	84-85
الفصل الثالث : عنصر الاتجاه الإسلامي في الكتاب	86-88
مدنية الإسلام	88-90
حث القرآن على العلم	90-92
المراد بالعلم	92-93
كلمة لطلاب النهضة القومية دون الدينية	94-95
أسباب انحطاط المسلمين في العصرالأخير	95 -96
علاج ذاك المذكور	96-97

خاتمة البحث 98-101

المصادر و المراجع 102-110

محتويات البحث 110 -113

Islamic Trend in the writings of Shakib Arsalan , with special focus on his book " Limaza Ta akhkhara almuslimoona wa limaza Taqaddama gairuhum, (Analytical Study)

Dissertation submitted to the Jawaharlal Nehru University in partial fulfillment of the requirement for the award of the degree of

Master of Philosophy

By

Mohd Shahid

Under the supervision of

Dr. Rizwanur Rahman

Centre of Arabic and African Studies

School of Language, Literature and Culture Studies

Jawaharlal Nehru University

New Delhi – 110067

2015